الفرق بين الخلق والإستنساخ

في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

دكتوره

ثناء علي مخيمر الشيخ

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق

(بقية البحث الذي تم نشره في الجزء الأول للعدد)

ثالثا :- مرحلة المضغة.

قال عز وجل: "**فخلقنا العلقة مضغة**"(١).

معني المضغة:. القطعة من اللحم قدر ما يمضغ(٢).

فإن هذه الفترة في علم الأجنة والترشيح تعرف بفترة«الحميل» وهي التي أشار إليها القرآن الكريم بالمضغة... وهذه الفترة بالذات هي فترة تخلق وتمايز. وأعني أن الطبقات الثلاثة التي يتكون منها الحميل تبدأ بتخلق أنسجة وأعضاء معينه، وبإنتهاء هذه الفترة التي تمتد حسب علم الأجنة إلي نهاية الشهر الثاني من عمر الجنين الرحمي يكون الحميل قد تكونت لديه أعضاء الأجهزة الرئيسية. والجدير بالذكر أنه بسبب ذلك

---

(١) سورة المومنون آية/١٤.
(٢) مفردات الراغب الأصفهاني صـ٤٨٩.

يتغير شكل الحميل إلي درجة كبيرة إذ يصبح بالإمكان الان تمييز الملامح الرئيسية للشكل الخارجي لجنين بشري.

إن هذه المرحلة تمتاز بوجود ثلاث طبقات مخلقة. الطبقة الخارجية« أكتودرم» والطبقة الداخلية« أندوردم» والطبقة الوسطي« ميزودرم».(١)

- وتقول الابحاث العلمية:-

هذه المرحلة تبدأ مع الأسبوع الرابع تقريباً فبعد أن تكون القرص الجنيني من ثلاث طبقات في الأسبوع الثالث تبدأ العلامات الأولي للجهاز العصبي والدموي.

وفي الأسبوع الرابع وبعد عشرين يوماً من التخصيب تبدأ البدايات الأولي للأعضاء المهمة في الظهور. ولذلك فالمراجع الطبية تعتبر هذا الأسبوع بداية لتكون الأعضاء.

فقد جاء في المعجم الطبي:.« خلال الأسبوع الرابع يبدأ جسم الجنين في التكون شيئاً فشيئاً».

وفي كتاب ولادة طفل« خلال الأسبوع الرابع يكون الجنين قد تميز بشكل كاف داخل التجويف الأمينوسي».

وجاء في الموسوعة الأمريكية« يميز الأسبوع الرابع بداية التطور الحقيقي للتكون العضوي أي بداية تكون الأعضاء»(٢).

والمضغة هي المرحلة التي تمتد من نهاية مرحلة العلقة إلي بداية تكون العظام والعضلات.

ولفظ المضغة يصف حال الجنين طيلة هذه المرحلة سواء وهو كتلة من الخلايا سيبدأ فيها التخصص أو مجموعة من الكتل اللحمية المجتمعة في صورة بدائية لمختلف الأعضاء.

(١) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقران. د/تاج الدين محمود ،صـ١٦٤.
(٢) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور. محمد علي البار صـ٤٠٠.

وقد جاء في سورة الحج بأنها مخلقة وغير مخلقة. قال تعالي:"**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم**"(١).

وقد لخص ابن الجوزي أقوال السلف في الآية فقال:- قال تعالي:" **مضغة مخلقة وغير مخلقة**" فيه خمسة أقوال:- **أحدهما**:- أن المخلقة ما خلق سوياً. وغير المخلقة ما ألقته الأرحام من النطف وهو الدم قبل أن يكون خلقاً. قاله ابن مسعود.

الثاني:- أن المخلقة ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه وهو الذي يولد حيا لتمام، وغير المخلقة ما أسقط غي حي لم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه. قاله ابن عباس.

الثالث:- أن المخلقة المصورة وغير المخلقة غير المصورة. قاله الحسن.

الرابع:- أن المخلقة وغير المخلقة السقط تارة يسقط نقطة وعلقة وتارة قد صور بعضه وتارة قد صور كله. قاله السدي.

الخامس:- أن المخلقة التامة وغير المخلقة السقط. قاله الفراء، وابن قتية(٢).

وقد ناقش صاحب أضواء البيان هذه الأقوال ورد القول الذي ذهب إلي أن مخلقة وغير مخلقة صفتان للنطفة لا للمضغة. كما رد القول الذي يري غير مخلقة هي السقط.

ونصر القول الذي فسر المخلقة بأنها التامة وغير المخلقة غير التامة. ونقل عن الزمخشري قوله أن المخلقة: المسواه الملساء من النقص والعيب يقال: خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاً إذا كانت ملساء كأن الله تعالي يخلق المضغ متفاوته منها هو كامل الخلقة أملس من العيوب. ومنها ما هو عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم.(٣)

وتقول الأبحاث العلمية في المضغة المخلقة والغير مخلقة:-

١- أن المخلقة إشارة إلي الجزء من المضغة الذي يتكون منه الجنين الفعلي وهو

(١) سورة الحج آية/ ٥.
(٢) زاد المسير في التفسير جـ٥ صـ٤٠٦.
(٣) تفسير الكشاف للزمخشري جـ٣ صـ٢٥، ٢٦. دار المعرفة.

الورقة الجنينية.وغير المخلقة هو الجزء الآخر الذي يتكون منه الحبل السري والمشيمة فهو يساهم في تخلق الجنين لوظيفته الغذائية لكن لا يتخلق منه أي شئ من الجنين.

٢- أن المخلقة هي الخلايا التي تم تخلقها في المرحلة الجنينية وغير المخلقة هي تلك الخلايا التي تبقي في المضغة كخلايا خام. وتساهم في إصلاح الجسم وترميمه عندما تصبح بقية الخلايا متخصصة جداً وتفقد قدرتها علي الإنقسام.(١)

- ولا تعارض بين هذه الوجوه فإن كل واحد يصف المضغة في إحدي مراحلها بدءاً من البداية الأولي وإنتهاء بظهور الملامح المميزة للجنين، وهذا يعطي للآية الكريمة دلالة عميقة.

رابعاً- مرحلة العظام واللحم:-

قال تعالي: "فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً"(٢).

قال بعض المفسرون:- إن التحول قد يكون للمضغة كلها وقد يكون لبعضها.(٣).

والذي يبدو الأن متفقاً مع ما كشفه علم الأجنة، أن التحول يكون لبعض المضغة فإن جزءاً منها هو الذي يتحول إلي عظام. فلما إعتبر القرآن الكريم مرحلة العظام مرحلة مستقلة تلي مرحلة المضغة. لأن القرآن الكريم سمي كل مرحلة بأهم ما يحصل فيها فالغالب علي هذه المرحلة التي قبلها ظهور الكتل اللحمية الصغيرة.

ونظراً لتداخل ظهور الكتل اللحمية مع بداية العظام مع إكتساءها بالعضلات وحصول كل ذلك في وقت وجيز يستوعبه الأسبوع الرابع. فإن الكتب الطبية لا تميز مرحلة المضغة والعظام واللحم وتكتفي بتصنيف يعتمد علي الأسابيع والأيام.

- ولكننا عندما نتابع في ضوء علم الأجنة الترتيب الذي تحصل به التغيرات

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن لمحمد علي البار السعودية للنشر صـ ٤٢.
(٢) سورة المؤمنون آية/ ١٤.
(٣) تفسير روح المعاني للألوسي جـ١٨ صـ١٤ إحياء دار التراث العربي.

خلال الأسبوع الرابع نجد إتفاقاً مع الترتيب القرآني مما يبين أن التصنيف القراني أدق.(١)

والابحاث العلمية تقول:-

وبعد ذلك عند نمو الجنين خلال الأسابيع من الرابع إلي الثامن تزداد الملامح الإنسانية وضوحاً في الجنين رغم أن وزنه لا يتجاوز أربعة جرامات ويكون الجنين قد نما بشكل كبيراً بحيث قد غطي كل تجويف الرحم وشيئاً فشيئاً يختلط الغشاء المتكون من قبل بالغشاء الساقط ومن الآن فصاعداً سيمضي التكوين حسب الترتيب القرآني كما كانت بدايته حسب هذا الترتيب أي: أنه كلما نمت الأعضاء والأحشاء الداخلية نما الهيكل العظمي الخامس لها و الموجود في الأطراف وكلما نمت العظام نمت تبعاً لها العضلات ثم نما فوقها الجلد.(٢)

ولهذا فالآية الكريمة.." فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما" تعطي مرحلة تمتد من بداية تكون الكتل البدنية في الأسبوع الرابع وتستمر إلي الشهر الرابع حيث المرحلة الموالية في الترتيب القرآني.

وقد جاءت مرحلة الطين والنطفة والعلقة معطوفة بـ «ثم» بينما جاء العطف بين المضغة والعظام واللحم بالفاء لأن هذه الأخيرة متداخلة جداً فحروف العطف هنا تتضمن دقة لغوية وعلمية معا.

وبما أن المرحلة الموالية هي مرحلة نفخ الروح فإن كل ما سيحصل بعد إنتهاء التكوين الأولي للأعضاء هو التهيؤ والإستعداد لهذا النفخ.(٣)

خامساً: مرحلة الخلق الآخر:-

قال تعالي:" ثم أنشأناه خلقاً اخر فتبارك الله أحسن الخالقين"(٤).

(١) كتاب مصدر الجهاز العظمي والعضلي في علم وظائف الأعضاء صـ٣٨.
(٢) جسم الإنسان: آلان نورس صـ٧٧ مكتبة الترجمة العربية مطابع الأهرام.
(٣) المرجع السابق صـ٧٨.
(٤) سورة المؤمنون آية/ ١٤.

هذه الآية الكريمة تشير إلي ما يحصل في الشهر الرابع وما بعده والآية القرآنية دقيقة في إستعمال فعل« **أنشأناه** » تماماً كما إستعملت فعل« **كسونا** » في الاية السابقة فإن كلمة الإنشاء تعني إحداث الشئ وترتبيته[1]. وبما أن الخلق والإيجاد قد حصل في المرحلة السابقة فإن هذه المرحلة مرحلة تربية وتنشئة للجنين المخلوق وبنفس الدقة والعمق إستعملت الآية الكريمة بعد« **أنشأناه** » كلمتي« **خلقاً آخر** » فإنه أوجز تعبير يصف بعمق ويصور بدقة حالة هذا الجنين وهو ينشأ.

لقد إستقل في نهاية المرحلة الأولي بخلقته الإنسانية وسوف ينشأ الآن محتفظاً بها بل سيزداد تميزها وظهورها مع كل مرحلة جديدة.

وإذا كان ظهور المضغة من العلقة والعظام من المضغة والعضلات فوق العظام قد تلاحق بسرعة فإن الجنين لم ينتقل بعد ذلك مباشرة إلي مرحلة الخلق الآخر. بل إستمر نمو العظام والعضلات بعد ظهورهما مدة إمتدت من الأسبوع الثامن حتي الشهر الرابع ولذلك جاءت «ثم» حرفاً للعطف بين تلك المراحل ومرحلة الخلق الآخر.

= والتغيرات الجديدة التي تحصل في هذه المرحلة لها جانبان:-

الجانب الأول: يراقبه العلم التجريبي بوسائله وهو التميز الذي يظهر به الجنين وقد إكتسب صفاته الإنسانية وظهرت ذكورته أو أنوثته وبدأ يتحرك.

الجانب الثاني: جاء به الوحي وهو نفخ الروح فيه ونفخ الروح هو التتويج النهائي لكافة الإستعدادات الجسمية التي كانت تجري في الجنين لإكتسابه صفات الإنسان فبنفخ الروح تتم آخر حلقة من الحلقات التي تجعل من الجنين بجسمه وروحه خلقاً آخر.[2]

وقد جاء تفسير الخلق الآخر في التفاسير مشيراً إلي الجانبين الجسمي والروحي معا. قال ابن جرير رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال الواردة في الآية.

وأولي الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك نفخ الروح فيه وذلك

(١) مفردات الراغب صـ٥١٣.
(٢) كتاب حقيقة الأبحاث الروحية الحديثة في خلق الإنسان لمحمد محمد حسين صـ٨٥.

أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقاً آخر إنساناً وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعاني كلها إلي معني الإنسانية كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنساناً وخلقاً آخر غير الطين الذي خلق منه.[1]

وجاء في تفسير ابن كثير رحمه الله في قوله تعالي:" ثم أنشأناه خلقاص آخر": أي: ثم نفخنا فيه الروح وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة وإضطراب فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا زيد ابن علي عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إذا أتت علي النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكاً فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث. فذلك قوله تعالي:" أنشأناه خلقنا اخر" يعني نفخنا فيه الروح.[2]

وقال العوفي عن ابن عباس:" ثم أنشأناه خلقنا اخر" يعني تنقله من حال إلي حال إلي أن أخرج طفلاً ثم نشأ صغيراً ثم إحتلم ثم صار شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرماً.

ولا منافاه.. فإنه من إبتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التنقلات والأحوال.[3]

نتبين مما سبق التوفيق بين الأقوال لأنه عام في هذا وفي غيره من النطق والإدراك وحسن المحاولة وتحصيل المعقولات إلي أن يموت.[4]

ما جاء في الابحاث العلمية عن هذه المرحلة:

تحدد المراجع الطبية أن هذه المرحلة تبدأ في الشهر الرابع. والحقيقة أن نمو الأجنة يختلف كما يختلف نمو الأطفال بعد الولادة ولهذا فإن الشهر الثالث هو شهر الإختلافات بين الأجنة فيه تستكمل علي تفاوت بينها ظهور مكوناتها العضوية، لكن الأجنة جميعاً إذا أتي عليها الشهر الرابع فإنها تكون قد أخذت الطريق الثاني في

(١) تفسير الطبري جـ٩ صـ٢٠٥ دار الكتب العلمية.
(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٢٤٠، ٢٤١.
(٣) المرجع السابق صـ٢٤١.
(٤) تفسير الفتوحات الإلهية جـ٣ صـ١٨٦.

النمو أي طريق الزيادة في نمو الأعضاء التي ظهرت من قبل، فإنها تميز البصمات الخاصة بالجنين. ويستمر عمل القلب. ينمو الجهاز العصبي. تتضح الذكورة أو الأنوثة. تتكامل أجزاء الجنين. تلك كانت ما يميز الشهر الرابع علي المستوي الجسمي وبعد ذلك يتم نفخ الروح... ونفخ الروح حدث عرف من طريق الوحي والعلم التجريبي لا يمكنه أن يقول في آخر الروح شيئاً إلا عندما يتعدي مجاله فيخرج من العلم إلي الظن. ولا يمكن للعلم أن يثبت ولا أن ينفي ولا أن يبين الكيفية لأن أي إثبات أو نفي أو تكييف يقوم به العلم التجريبي يقع علي شئ مادي تتناوله الملاحظة وهو قطعاً ليس الروح فالروح من أمر الله تعالي: " **يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**".(١)

وعلم الإنسان بنفسه لا زال قليلاً محدوداً فلا زال العلم عاجزاً عن إدراك كثير من الجوانب المتعلقة بالأعضاء والوظائف في جسم الإنسان. ولا زال عجزه أشد في إدراك سر الروح التي هي من الغيب الذي أمر النبي - صلي الله عليه وسلم- أن يعلن أنه لا يعلم إلا أنها من أمر الله تعالي.(٢)

وبديهي أن النفخ المقصود في آيات نفخ الروح ليس كنفخ الهواء في الأوعية التي تمكسه فطريقة النفخ كحقيقة الروح كلاهما غيب لكن لو بحث عن لفظ يقرب معني حلول الروح في الجسد ما وجدت أنسب من لفظ النفخ. لأنه في معناه الأصلي يجعل الهواء يسري في كل الوعاء الذي نفخ فيه وكذا عندما تنفخ الروح تسري في الجسد كله، ولا تعرف اللحظة التي تم فيها نفخ الروح. وإذا كان نفخ الروح لا يعرف متي هو لكن ما من شك أن لكل جنين لحظة يعلمها الله سبحانه وتعالي يتم فيها نفخ الروح الخاصة به. وتبدو هذه اللحظة التي تأتي بعد الخلق والتسوية أعظم لحظة يمر بها الجنين. فهذه الروح سيعرف في الملأ الأعلي بعد موته كما هو معروف في الأرض بجسمه وهذه الروح هي التي تدخل إسمه في سجل الخلود.

وبنفخ الروح يستكمل الجنين شطر حقيقته كإنسان وينزل بعد ذلك إلي الدنيا إن

(١) سورة الإسراء آية/ ٨٥.
(٢) كتاب عن حقيقة الأبحاث الروحية للدكتور محمد محمد حسين صـ٨٧.

تدر له ذلك خلقاً آخر لا يشبه أحد غيره. فله صفاته النوعية والفردية الجسمية والعقلية. وله روحه لا يشترك معه فيها أحد ولا تتناسخ منه لسواه.(١)

التوفيق بين القرآن الكريم والحقائق العلمية:-

عدم التعارض مع الحقائق العلمية القطعية سمة تعم كل الكتب المنزلة. وهذه الحقيقة علي جهل الأكثرين بها ليست بالأمر القريب فإن الله الذي أنزل هذه الكتب هو الذي أذن للعقل في الوصول إلي بعض إشارات عن الكون والإنسان.

- وإنما دخلت الأخطاء العلمية في التوراة والإنجيل، عندما حصل فيهما التحريف فهي أخطاء الذين تولوا كتابتها حيث أضافوا إليهما نظريات عصرهم العلمية.

ولما حفظ القرآن الكريم من الزيادة والنقص بقي بهذه السمة التي هي عامة في كل الكتب المنزلة. فخلو القران الكريم من مثل أخطاء التوراة والإنجيل، شهادة له ولهما ولسائر الكتب السابقة أنها في صورتها الصحيحة لا تتعارض مع أي حقيقة علمية قطعية.(٢)

- ويقول الدكتور موريس بوكاي: لما له من دلالة خاصة فهو:- أولاً: لم يكن مؤمناً بالقران عندما قام بدراسة آياته العلمية.

ثانياً: أنه دارس متخصص يصدر في نتائجه عن دراية وخبره ويقول:« لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامه باحثاً عن درجة إتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث وكنت أعرف قبل هذه الدراسة عن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي إستطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الإنتهاء منها أن القرآن لا يحتوي علي أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث.(٢)

(١) كتاب حقيقة الأبحاث الروحية للدكتور/ محمد محمد حسين صـ٨٨.
(٢) كتاب القرآن والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي صـ١٣.
(٣) المرجع السابق صـ١٣.

ثم يسجل الدكتور موريس بوكاي تساؤلاً يطرحه علي كل من إطلع علي هذه الحقيقة في القرآن فيقول:

« إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة فهناك -أي في القرآن- الخلق وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الإنساني.

وعلي حيث نجد في التوراة أخطاء علمية لا نجد في القران الكريم أي خطأ.

وقد دفعني هذا التسائل:« لو كان كاتب القرآن إنساناً كيف إستطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما إتضح له أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ليس هناك أي مجال للشك فنص القرآن الذي نملكه اليوم هو فعلاً نفس النص الأول».

وليس صواباً أن يتكلف الباحث المناسبات بين الايات وأبحاث العلم أو يسارع إلي نسبة كل كشف علمي إلي آية قرآنية وإن لم تشر الآية إلي ذلك من قريب ولا بعيد ولكن الباحث بعد أن يتسلح بهذا المنهج لا يملك نفسه من الدهشة عندما يقف في مواضع من القرآن علي التوافق بين حقيقة علمية حديثة الإكتشافات وآية قرآن نزلت منذ أربعة عشر قرناً من الزمان... وقد حصل في هذا الإندهاش لعدد من المتخصصين عندما نظروا في الآيات القرآنية التي تشير إلي موضوعات تتصل بإختصاصاتهم.

وكمثال:- علي ذلك يذكر الدكتور موريس بوكاي:- أنه تقدم ببحث إلي أكاديمية العلوم الفرنسية بين فيه كيف ذكر القرآن الكريم مراحل تكون الجنين بدقة تتفق..و آخر ما إستقر عليه علم الأجنة فلم يصدقوا عندما أطلعهم علي بحثه أن يرد هذا في كتاب نزل منذ ألف وأربعمائة عام خصوصاً وعلم الأجنة من أحدث العلوم ، وليس القرآن كتاب علوم وما به حاجة إلي شهادة العلم علي صدق ما جاء فيه من إشارات علمية ويكفي أنه لا يتعارض مع أي حقيقة علمية وأنه لا يتضمن أي معارف مخطئة مما كان سائداً في عصر نزوله.. إلا أن العلوم الحديثة أضافت شهادتها لهذا الكتاب الإلهي عندما وقفت بقصد وبغير قصد علي حقائق اشارت إليها بعض آياته...

إن السبق العلمي لبعض الايات حقيقة لا يمكن أن تنكر ولا شك أنها من المؤيدات التي أيد الله بها كتابه في هذا العصر.

وبعد... يظهر لنا توافق آيات مراحل الخلق مع حقائق العلم في مجالين.

الأول:. إعطاء وصف دقيق لكل مرحلة من مراحل الخلق يبين ما يحصل فيها بدقة، وهنا تداخل الجوانب اللغوية والعلمية فلولا الدقة اللغوية التي جاءت بها هذه الايات ما كانت ألفاظها ذات دقة علمية أيضا.

الثاني:. ترتيب المراحل ترتيباً دقيقاً. ولم يكن هذا الوصف ولا هذا التصنيف معروف للعلماء قديماً ولا حديثاً بل إن علماء « علم الأجنة» ينظرون إلي هذا التصنيف علي أنه أحق من تصنيفهم وفي هذا.

يقول الدكتور كيث مور.. وهو أحد كبار المتخصصين في علم التشريح بأمريكا الشمالية:« لم يكن يعرف شئ عن تصنيف مراحل تطور الإنسان حتي القرن التاسع عشر وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر نظام لمراحل تطور الجنين مبني علي ترتيب أبجدي« مرحلة أ ثم مرحلة ب وهذا النظام لا يسهل تتبعه ويفضله نظام مبني علي وصف ظاهري للتغيرات وفي السنوات الأخيرة أظهرت دراسة القرآن أساساً آخر للتصنيف مبنياً علي سهولة فهم التغيرات في الشكل فهو يستعمل اصطلاحات نزلت من عند الله عز وجل علي سيدنا محمد- صلي الله عليه وسلم-وأهم هذه المراحل الثلاث:. النطفة، والعلقة، والمضغة. »(١)

وهكذا نري.. التوافق بين آيات الكتاب العزيز والحقائق العلمية لننظر في الآيات لنعرف منها صفات الله عز وجل وأسماؤه ثم نجد نظرنا مشدوداً إلي الدقة العلمية التي جاءت بها فيلتقي في القلب الإيمان بالله سبحانه وتعالي وصفاته مع الإيمان بالقرآن الكريم وما جاء به.

سادساً- مراحل التطور بعد الولادة:

قالت تعالي:"**الله الذي خلقكم من ضعف ثم من بعد ضعف قوة ثم**

(١)مجلة الفيصل الطبية العدد الثامن من مقال للدكتور كيث مور.

جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير"(١).

وقالتعالي:"هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفي من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمي ولعلكم تعقلون"(٢).

أ- مرحلة الطفولة إلي الأشد:

قالتعالي:" ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم"(٣).

أي يخرجكم من الرحم إلي الدنيا طفلاً طفلاً.

وإختلف المفسرون في معني الأشد:. والذي يوافق ترتيب الآيات أنها المرحلة التي تمتد من نهاية الطفولة إلي بداية الشيخوخة.. والآية ذكرت مرحلة الأشد بينهما وقد رتب سبحانه عمر الإنسان ثلاث مراتب:. ١- الطفولة. ٢- بلوغ الأشد. ٣- الشيخوخة وفترة الأشد هي الفترة التي يتمتع فيها الإنسان عادة بكامل قواه ومع بدايتها يبدأ التكليف الشرعي ولهذا جاءت كلمة« لتبلغوا » باللام إشارة إلي أن الغاية هي أن تبلغوا الرشد فتكلفوا وتبتلوا.(٤)

- فهذا الإنتقال والتدرج والتحول من حال إلي حال دليل علي القدرة الخالقة وبرهان علي البعث الذي ينكره المشركون فإن القادر علي هذا التغير والتبديل قادر علي الإعادة مرة أخري فهذه الآية تتضمن قدرة الله تعالي في نفس الإنسان والتغير والتدرج ليس مجرد طبيعة دون مدبر و لا مغير. وإنما يحتاج كل طور من مراحل التغير إلي خالق مبدع وقادر عظيم فهو وحده الخالق ما يشاء من قوة وضعف وهو العليم بتدبير القدير علي إرادته.

وإن تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال من ضعف إلي قوة ثم من قوة إلي ضعف دليل علي قدرة الخالق الفعال لما يشاء الذي لا يعجزه شئ في الأرض ولا في

(١) سورة الروم آية/ ٥٤.
(٢) سورة غافر آية/ ٦٧.
(٣) سورة غافر آية/ ٦٧.
(٤) تفسير روح المعاني للألوسي جـ١٧ صـ١١٧.

السماء.(١).

وتقول الأبحاث العلمية عن هذه المرحلة:-

يخرج الطفل إلي الدنيا ضعيف عاجزاً ويمتد هذا العجز مدة طويلة يحتاج فيها إلي رعاية وعناية فطفولة الإنسان أطول طفولة بين المخلوقات التي تحمل وتضع بطريقة مشابهة(٢).

وأن مشاعر الأبوة والأمومة تتحرك بعد الإنجاب... ويدل علي ذلك حديث رسول الله- صلي الله عليه وسلم-:« عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله- صلي الله عليه وسلم- قال: كانت إمرآتان معهما إبناهما، جاء الذئب فذهب بإبن إحداهما فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بأبنك. وقالت الأخري: إنما ذهب بإبنك فتحاكما إلي داود. صلي الله عليه وسلم. فقضي به للكبري فجرجتا علي سليمان ابن داود عليه السلام فأخبرتاه فقال أئتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الكبري: لا تفعل رحمك الله: هو إبنها فقضي به للصغري »(٣).

هذه العاطفة أمر مشترك بين الإنسان وغيره من المخلوقات وهي من الرحمة التي أنزل الله تعالي إلي الأرض فبها يتراحم الخلق لترفع الدابة حافرها عن وليدها خشية أن تصيبه.. وقد تنام الأم علي هدير الشوارع وضجيج السيارات ولكن شهقة واحدة من وليدها توقظها فوراً.

- وأهم الخصائص الإنسانية... أن كما ينمو الطفل في جانبه الجسمي ينمو في جانبه النفسي والعقلي فيتعرف شيئاً فشيئاً علي نفسه وعلي من حوله وتساعده اللغة في ذلك مساعدة كبري لأنه يستعملها في طرح الأسئلة الكثيرة وإختزان إجابتها وتبدأ ملكات العقل المختلفة الذكاء، والذاكرة، والمخيلة في عملياتها كالتفكير والإستدلال والتذكر والتخيل وغيرها. وإن الطفل ينمو عقلياً ونفسياً بطريقة تتناسب بدقة مع سنه

(١) تفسير المراغي جـ٢١ صـ٦٥.
(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن صـ٤٧٤.
(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق جـ٤ صـ١٩٨.

ومع نمو جسمه في ذلك السن فهو ابن سنه نفساً وعقلاً وجسماً. (١)

ب- مرحلة الشيخوخة:

قال تعالي: "**ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً**" (٢).

الشيخوخة تعني الهرم عندما يتقدم بالإنسان السن ويبلغه الكبر ويرد إلي أرذل العمر وليس للشيخوخة سن محدد ولكنها معروفة بين الناس ، فهي من المراحل التي رتبها سبحانه من عمر الإنسان.

- والإخبار عن تلك المراحل الإنتقالية ليعقل الإنسان أنها ترشده وتعلمه أن لا إله إلا الله.

- والتنبيه علي قدرة الله في الإحياء والإماتة وعلي سرعة إنجاز الخلق والتكوين بمجرد إرادة الله.

ورحلة الإنسان في أطوار حياته رحلة عجيبة ممتعة حقاً. وقد عرفنا الكثير عنها بعد تقدم الطب وعلم الأجنة بشكل خاص... ولكن إشارة القرآن إليها بهذه الدقة منذ حوالي أربعة عشر قرناً أمر يستوقف النظر ولا يمكن أن يمر عليه عاقل دون أن يقف أمامه يتدبره ويفكر فيه.. وكل جيل يحس لهذه اللمسة وقعها علي طريقته وحسب معلوماته فيخاطب القرآن بها جميع أجيال البشر فيحسون ثم يستجيبون. (٣)

تقول الأبحاث العلمية عن هذه المرحلة:-

يتوقف الجسم عن النمو في مرحلة ما بعد البلوغ وتوقف نمو الجسم في مرحلة من العجز يمنع الجسم من بلوغ أطوال وأحجام شاذة وهو ما لا يحتاج إليه الجسم بعد أن يبلغ أشده.. ولذلك لما كان الإنسان في حاجة مستمرة إلي مزيد من النضج العقلي فإن ملكاته العقلية تستمر في النمو ولا تتوقف...

وتستمر مرحلة الأشد حتي تبلغ قمتها في الأربعين ثم يبدأ إنقلاب فسيولوجي

(١) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن صـ٤٧٥.
(٢) سورة غافر اية/ ٦٧.
(٣) تفسير ظلال القرآن جـ٥ صـ٣٠٩٦.

في مجموع الجسم فتصير عملية الهرم أقوي من عملية البناء والتعويض ويبدأ هذا الإنقلاب بفروق طفيفة..

وتظهر أعراض العجز علي بعض الغدد كالغدد النخامية تفرز هرمون التلوين فيظهر الشيب وتعجز غدد الدهن الجلدية فتظهر التجاعيد وتستأسد الأمراض عندما تكتشف تقهقر المقاومة في الجسم وتعم حالة الضعف كافة أجزاء الجسم.وهذا التراجع إلي الوراء هو الذي جعل الشيخوخة مرحلة ضعف بعد قوة كما كانت مرحلة الأشد مرحلة قوة بعد ضعف. (١)

(١) لقط النافع في الطب/ عبد الرحمن بن الجوزي: مخطوط بمعهد المخطوطات ورقة رقم ١٥٠.

الإستنساخ

أثارت قضية الإستنساخ التي طيرتها وكالات الأنباء العالمية ونشرتها صحف وإذاعات العالم (إسكتلندا، الدنمارك، الولايات المتحدة) في يوم الرابع والعشرين من يوليه لعام ١٩٩٧م- حول قيام علماء الهندسة الوراثية من إستنساخ حيوانات ثديية من خلية جسدية. بدور واسع النطاق فما من شخص علم بالحدث ولم يتسائل.. وما من إنسان قرأ أو سمع عن ذلك الموضوع إلا وراح يقلب الأمر من كافة أوجهه. وما من متخصص إلا وجلس يحسب ويرقب الأمر، والدول كان لها ردود أفعال تجاه ما أثير وأذيع عن ذلك الحدث. فعقدت المؤتمرات وشكلت اللجان. لتبني مواقف واضحة وإتخاذ قرارات جادة. ويدل علي ذلك خوف رئيس أكبر دولة في العالم وهو (الرئيس الأمريكي كلينتون) الذي أزعجته هذه المعلومات. وطالب بعدم تمويل الأبحاث الخاصة بعملية الإستنساخ البشري- وأخذ الكل يتساءل ماذا يحدث هل ذلك تضارب بين الدين والعلم. كما حدث في القرن التاسع عشر من ظهور آراء وأفكار أسموها بنظرية التطور لداروين وتلك من حيث القيمة العلمية لا ترقي إلي مستوي النظريات العلمية التي يعتد بها وأنها أقرب إلي الخيال والظن والتخمين، فهي ليست بالنظرية التي نبحث لها وتقف حائلاً بيننا وبين تدبر آيات القرآن الكريم وعلي الأخص ما يتعلق بأصل الإنسان ومبدئه. لقوله تعالي: **"ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا"**(١).. فلا خوف مما يثار من آن إلي آخر من إكتشافات علمية أو آراء.. وإن صحت.. فلن يخرج كل ذلك من قدرة الله سبحانه وتعالي و بعلمه. قال تعالي: **"أمن يبدء الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله. وما يشعرون أيان يبعثون"**(٢).

وقال تعالي: **"ليس كمثله شئ وهو السميع البصير. له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم"**(٣).

---

(١) سورة الكهف آية/ ٥١.
(٢) سورة النحل آية/ ٦٤، ٦٥.
(٣) سورة الشوري آية/ ١١، ١٢.

وفي هذا البحث سوف أبين إن شاء الله هذا الأمر بعد أن بينت معني الخلق والإستنساخ والفرق بينهما. وكيف أن القرآن الكريم يدعوا إلي العلم الجاد الهادف إلي خير البشرية وإحترام الإنسان ولاحدود له في ذلك. وخلق الإنسان ومراحل تطوره من التراب إلي أن أصبح بشراً سوياً كذا في بطن أمه. وذلك ليتضح الأمر جلياً أن ما يفعله هؤلاء العلماء لن يكون ضدالإسلام في شئ ولن يكون تدخلاً في إرادة الله ومشيئته سبحانه.

الإنسان والتكنولوجية

يعيش الإنسان الآن في مرحلة التقدم التكنولوجي. ففي هذه المرحلة حقق الإنسان بالعلم أشياء تذهل العقول. وحدث بها أحداث جساماً وسط ذهول الأعين وجدل الألسن ودهشة العقول.

وتلك المرحلة تميزت بثورات علمية هائلة. هي بمثابة علامات بارزة لمسيرة الإنسان التكنولوجية. أرخ العلماء تلك الثورات العلمية بأربع ثورات ما يعيننا منها. الثورة البيوتكنولوجية: تميز فيها أطوار أربعة.(١)

١- الطور الأول: طور زرع الأعضاء.

ويؤرخ له بعام ١٩٦٧ حيث تمت بنجاح أول عملية زرع قلب بشري على يد الطبيب العالمي كريستيان برنارد. ثم توسعت عمليات الزرع أو (الإستبدال) فشملت أعضاء أخري كثيرة كزراعة الكل والكبد والبنكرياس والرئة ثم القلب والرئة معا!!(٢).

قالتعالي:" **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**"(٣).

للعلماء قولان في كون القرآن شفاء أحدهما:- أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب. والثاني:- أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقي والتعوذ ونحوه.

وقد أقر النبي-صلي الله عليه وسلم- فيما رواه الأئمة- الإستشفاء بالقران والرقية بالفاتحة بقراءتها سبع مرات علي لدبغ وإعطاء قارئها عوضاً عن الرقية ثلاثين شاه.

ولا يعني هذا الإكتفاء بالرقي عن المداواة والعلاج بالأدوية الناجحة. فذلك كله من الوسائل التي أذن الشرع بها. بل وأوجبها لصيانة حق الحياة.

وما يفعله بعض العوام من إهمال علاج المريض المحموم أو المبتلي بداء خطير

(١) كتاب الإستنساخ قنبلة العصر للدكتور/ صبري الدمرداش صـ١٥ ط أوح.
(٢) نفس المرجع السابق صـ١٦.
(٣) سورة الإسراء آية/ ٨٢.

مثلاً إعتماداً علي مجرد التلاوة لشئ من القرآن أو التميمة. فهذا جهل بحقائق الدين.

وإهدار لقدسية العلم الذي عظمه الله ورفع شأن علمائه وأتباعه.

وعن رسول الله-صلي الله عليه وسلم-«الحبة السوداء- دواء لكل داء»(١) أي بها شفاء لكل مرض بذلك نجد أن الإسلام أقر العلاج والتداوي وأوجبه حفاظاً علي حياة الإنسان. فكان الطب قاصراً علي علاج الأمراض المختلفة وتخفيف آلامها سوي بعض الحالات كان لا يمكن علاجها بها مثل(الفشل الكلوي، وبعض إصابات القلب.وكان كثيرون من أصحاب تلك الأمراض يموتون أو يعيشون في عذاب الألم والمرض. إلي أن نجح العلماء بالبحث في التوصل إلي(نقل كلوي) من إنسان إلي آخر بعد إجراء تحاليل وفحوصات ثم إستمروا في أبحاثهم الخاصة بأمراض القلب إلي أن نجحوا في عمل(القلب الصناعي) ثم نقل قلب من شخص ميت حديثاً. ونتيجة لذلك أنشأوا بنوك لحفظ الأعضاء البشرية لأشخاص ماتوا حديثاً أو آخرون تبرعوا بها أو بيعها لمن يريد.

بهذا التقدم في الطب والعلاج أعطي الأمل في تخفيف آلام وعذاب المرض.. وهذا فضل من الله بدليل قوله تعالي:"**و علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**"(٢).

ولكن كان لهذا التقدم في نقل الأعضاء البشرية آثار سلبية تتنافي مع الشرائع والأخلاق بأن قامت عصابات وتجار الموت بتقطيع أعضاء الموتي. وحدث في بعض الأحيان طمعاً في الثراء أن قامت عصابات المافيا بقتل بعض الناس ونقلهم في الحال إلي مستشفيات خاصة بها إستعدادات كبيرة يتم بها نقل الكليتين أو القلب أو العينين ويكون هناك المريض قد أعد لإجراء عملية نقل العضو المطلوب إليه.

وإذ كانت عملية نقل الأعضاء خففت الآلام عن كثير من الناس المرضي وفي كثير من تلك العمليات يرفض الجسم العضو المنقول مما يسبب في وفاة المريض. لكن لابد لتلك العملية من تنظيم وإهتمام الدول وتكون تحت الرقابة حتي تبعد ذلك الأمر عن أيدي تجار الموت وراغبي الثراء وصدق الله حين يقول:"**واتقوا الله ويعلمكم الله**"(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه جـ١٠ صـ١٥ كتاب الطب باب الحبة السوداء.
(٢) سورة النساء آية/ ١١٣.
(٣) سورة البقرة اية/ ٢٨٢.

٢- الطور الثاني: طور الإخصاب الإصطناعي:

ويؤرخ له بعام ١٩٧٨ حيث وقع حدث آخر غير عادي أيقظ البشرية- وهي تلفظ بعد أنفاسها من الجدل حول مشروعية زرع الأعضاء أو عدم مشروعيته- علي ولادة أول طفلة أنابيب في العالم وهي الطفلة- لويز براون- وبعد ولادة لويز بعامين أي في عام ١٩٨٠- وقبل أن يفيق الإنسان من تلك الصدمة الطبية البيولوجية التي أحدثها الفريق إدواردز- ستبتو وإذ به يصدم بإنشاء بنك غريب عجيب. إنه بنك لا يتعامل مع الأموال أو العقارات وإنما مع منويات الرجال وبويضات النساء! إنه بنك الأمشاج-spermsbank- الذي يسمح قانونه للوريث- حال عقمه- بأنه يسحب من رصيد مورثه!![1].

= إقتضت حكمة الله سبحانه وتعالي: أن يهب البعض الذكور فقط، وأن يهب آخرين الإناث فقط. وأن يمنح صنفاً ثالثا الذكور والإناث ونوع آخر قدر له أن يعيش عقيماً بلا إنجاب يقول المولي عز وجل: **" لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير "**[2].

ذكر الإمام الفخر الرازي:- أن العقيم هو الذي لا يولد له. يقال رجل عقيم لا يلد. وإمرأة عقيم لا تلد وأصل العقم القطع.. وقال أن أهل الطبائع يقولون السبب في حدوث الولد صلاح حال النطفة والرحم. وسبب الذكورة إستيلاء الحرارة. وسبب الأنوثة إستيلاء البرودة. وقال أن ذلك من الله لا أنه من الطبائع[3].

أي إنه تعالي يخلق ما يشاء من الخلق والأولاد. فيرزق من يشاء البنات فقط ويرزق من يشاء البنين فقط. ويعطي من يشاء من الناس الصنفين معاً الذكر والأنثي فالتزويج هنا: يقصد به الجمع بين البنين والبنات. ويجعل من يشاء عقيماً لا يولد له. لأن الملك ملكه. ويمنح علي وفق الحكمة والمصلحة فإنه سبحانه عليم بمن يستحق كل

(١) كتاب الإستنساخ قنبلة العصر للدكتور/ صبري الدمرداش صـ١٦.
(٢) سورة الشوري آية/ ٤٩، ٥٠.
(٣) التفسير للإمام الفخر الرازي جـ٢٧، صـ١٨٤، ١٨٥.

صنف أو قسماً من هذه الأقسام. بليغ عظيم القدرة علي ما يريد من تفاوت الناس في ذلك. علي حسب الحكمة والعلم. يقال: رجل عقيم. وإمرأة عقيم.. وعبر الله سبحانه وتعالي في الآية بالعقم للدلالة علي قدرة الله في منع الولد مع توافر الأسباب الظاهرة. وأكثر المفسرين علي أن هذا الحكم عام في حق كل الناس وليس خاص بأحد.

فالعقم قد يكون من الرجل أو من المرأة. وقد جرت أبحاث وتم عمل دراسات توصلوا إلي إمكانية حمل العقيم وذلك بتقوية الذكر المنوي عند الرجل أو حقن رحم المرأة لتقوية البويضة.

هذا تعقيب علي الكلام السابق.

بقول سبحانه وتعالي: **"المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً"**[1].

أي أن الأموال والبنين هي زينة الحياة الدنيا. وذكر المال والبنين لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوة ودفعاً.

ويقول الحق سبحانه وتعالي في آية أخري: **" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة.."**[2].

في الآية السابقة نجد أنه حببت الشهوات للناس وحسنت في أعينهم وقلوبهم. حتي صار حبها غريزة أو فطرة عندهم. فمن أحب شيئاً ولم يزين له. يوشك أن يعدل عنه يوماً ما. ومن زين له حبه. فلا يكاد يعدل عنه ولقد عبر القرآن الكريم عن الأشياء المشتهاه بالشهوة ذاتها مبالغة في كونها مشتهاة مرغوباً فيها. وقيل أن المزين للشهوات هو الله للإبتلاء والإختبار. بمعني أن الله فطر الناس علي حب هذه الشهوات كما في قوله تعالي **"إنا جعلنا ما علي الأرض زينة لها لنبلوهم أيهكم أحسن عملا"**[3].

وقال أيضا: **" كذلك زينا لكل أمة عملهم "**[4].

(١) سورة الكهف آية/ ٤٦.
(٢) سورة آل عمران آية/ ١٤.
(٣) سورة الكهف آية/ ٧.
(٤) سورة الأنعام آية/ ١٠٨.

وقيل: إن المزين هو الشيطان بالوسوسة وتحسين الميل للشهوات للإضلال كما قال تعالي:" **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم**"(١).

وعلي أي حال: الإسلام دين ودنيا. فلا يقصد المنع من هذه الآية المنع من مجرد حب معتدل للشهوات. وإنما الممنوع المبالغة في حب الشهوات والإسراف فيها والإشتغال بها. حتي تطغي علي العقيدة والدين. بدليل قوله تعالي:"**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**"(٢).

وذكر الله تعالي أصنافاً ستة من المشتهيات والملاذ نذكر منها ما يخصنا في هذا المقام. وهم البنون: أي الأولاد مطلقاً فهم فلذة الأكباد. وقرة الأعين لكنهم مع الأموال فتنة تتطلب الحذر. كما قال تعالي:"**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**"(٣).

والفتنة بالأولاد: الإبتلاء بجمع المال لأجلهم. وسبب حب الأولاد والزوجات واحد هو بقاء النوع الإنساني. وحب بقاء الأثر والسمعة والذكر.

قال الإمام علي كرم الله وجهه: المال والبنون حرث الدنيا. والعمل الصالح حرث الآخرة. وقد جمعهما الله لأقوام.

وهذا الأمر لا يتعارض مع إرادة الله. فالله ترك للإنسان حرية السعي والأخذ بالأسباب والتداوي من الأمراض. فالعقم مرض وله أسباب مختلفة فإن أمكن علاجها في إطار الشرع والأخلاق فما المانع من أجل الإنجاب خاصة وأن الأولاد زينة الحياة الدنيا كما بينا فيما سبق.

وقد حكي لنا القرآن الكريم أن منح الله سبحانه وتعالي العاقر ولداً وهذا واضح في(السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام).

فيقول عزوجل:" **وإمرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز عقيم وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشئ عجيب. قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**"(٤).

(١) سورة الأنفال آية/ ٤٨.
(٢) سورة الأعراف آية./ ٣٢.
(٣) سورة التغابن آية/ ١٥.
(٤) سورة هود آية/ ٧١، ٧٢.

قال الإمام القرطبي:(**فبشرناها بإسحاق**) لما ولد لإبراهيم إسماعيل من هاجر تمنت سارة أن يكون لها إبن وأيست لكبر سنها. فبشرت بولد يكون نبياً وولد نبياً فكان هذا بشارة لها بأن تري ولد ولدها.

(**يا ويلتي أألد وأنا عجوز عقيم وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشئ عجيب**) الآية

عجبت من ولادتها وكون بعلها شيخاً لخروجه عن العادة. وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر. وهنا إستفهام معناه التعجب. و(**إن هذا لشئ عجيب**) وهي شيخة. أي طعنت في السن.

(**وهذا بعلي شيخاً**) أي عن ترك غشيانه لها. (**إن هذالشئ عجيب.**) أي الذي بشرتموني بع لشئ عجيب.)(١)

دلت الآية السابقة علي أن السيدة سارة لما بشرت بالولد قالت: عجباً كيف ألد وأنا عجوز كبيرة شيخة عقيم. وزوجي في سن الشيخوخة لا يولد لمثله. إن هذا الخبرلشئ عجيب غريب عادة. فأجابتها الملائكة: كيف تعجبين من قضاء الله وقدره. أي لا عجب من أن يرزقكما الله الولد. وهو إسحاق. فإن الله لا يعجزه شئ في الكون وهو علي كل شئ قدير. قال تعالي:" **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**"(٢).

فكان التبشير بولادة ولد لزوجين عجوزين معجزة خارقة للعادة فالله تعالي قادر علي كل شئ. وإنه حميد مجيد فلا عجب بعد ئذ.

= ونفس الأمر الذي حدث مع(السيدة سارة وسيدنا إبراهيم عليه السلام) حدث مع إمرأة سيدنا زكريا) وكانت عاقراً وهو جاوز المائة ووهن عظمه وضعف جسمه.

لكن الله أراد لهما الخير ودعا الله فاستجاب له وأعطاه يحي قرة عين.

قالتعالي:" **وزكريا إذ نادي ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون**

(١) تفسير القرطبي جـ٥ صـ١٣٨- ١٤٠ ط النور الإسلامية.
(٢) سورة يس آية/ ٨٢.

في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين"(١).

أي دعا سيدنا زكريا ربه خفية عن قومه: رب لا تتركني وحيداً. لا ولد لي ولا وارث يقوم بعدي في دعوة الناس إليك وأنت الباقي بعد فناء خلقك. والله سبحانه تعالي استجاب له الدعاء ووهبه ولد إسمه يحيي. وأصلح له إمرأته بإزالة موانع الولادة. فولدت بعد العقم وفي حال الكبر.

وفي ذلك معجزة غير معتادة دالة علي قدرة الله تعالي الفائقة والشاملة لكل شئ.

والله قادر أن يخلق من عدم. كما خلق سيدنا آدم بدون أبوين. وخلق حواء من آدم. وخلق عيسي بدون أب. والله سبحانه وتعالي سبق العلماء في تذليل عقبة العقم وعدم الإنجاب كما بينا في قصة السيدة سارة وسيدنا إبراهيم عليه السلام. وقصة سيدنا زكريا وإمرأته. وذلك في سن الكبر هو وإمرأته التي كانت عاقراً لا تلد في وقت الشباب. ونجد زن وجه إستدلال الآية أن الكبير عادة لاينجب. وأن العاقر العقيم لاتلد. فأزال الله موانع الولادة. وهيأة القدرة علي الإنجاب والإخصاب عند الأب زكريا عليه السلام. ليعلم البشر جميعاً أن الله سبحانه وتعالي صاحب الأمر والنهي.

فلا عجب إذن أن يلهم الله العلماء ويوفقهم إلي دواء أو إجراء عمليات تحول المرأة من العقيم إلي الحمل والإنجاب، أو تساعد الرجل لتقوية حيواناته المنوية.

طفل الانبوب:-

إن المرأة مهما تجمع لها من جاه ومال وسلطان ورفاهية لا تحس بالسعادة إلا إذا تزوجت وأنجبت. وعاطفة الأمومة من خصوصيات المرأة لرقة مشاعرها وحنانها وهي بالرغم من آلام الحمل ومتاعبه تسعد بكل لحظة وتعيش مع كل حركة من حركات الجنين وتعد الأيام والليالي ليأتي اليوم الذي تسعد فيه برؤية طفلها.

إن عدم إستطاعة أعداد كبيرة من النساء تحقيق حمل بسهولة بسبب علة فيهن أو في أزواجهن أدي ذلك إلي تطور علم تكوين الأجنة. وتطلع الباحثون عن وسيلة أخري

(١) سورة الإنبياء آية/ ٨٩، ٩٠.

غير الوسائل الطبيعية لإحداث ذلك.! ونسبة العقم تتراوح بين ١٠٢٥٪ من حالات الزواج. وأسباب العقم كثيرة منها المستعصية التي تتطلب تخصيب البويضة داخل أنبوب إصطناعي ليصبح الأمل الوحيد عند الكثيرين من الأزواج للإنجاب.

والخوف من تلك العمليات أن تختلط الإنساب لخطأ المختص في الأنابيب أو أن يتعمد بأن يجلب نطفة غير نطفة الزوج(فيكون الولد غير تابع للأبوين.

حكم الشريعة في التلقيح الصناعي الإنساني(طفل الانبوب):-

يقول فضيلة الشيخ محمود شلتوت في كتابه الفتاوي:.

« بالنسبة لحكم الشريعة في التلقيح الصناعي الإنساني... أنه إذا كان بماء الرجل لزوجته كان تصرفاً واقعاً في دائرة القانون والشرائع التي تخضع لنظم المجتمعات الإنسانية الفاضلة وكان عملاً مشروعاً لا إثم فيه ولا حرج. وهو بعد(قد يكون في تلك الحالة سبيلاً للحصول علي ولد شرعي يذكر به والداه وبه تمتد حياتهما وتكمل سعادتهما النفسية والإجتماعية فيطمئنان علي دوام العشرة وبقاء المودة بينهما.

أما إذا كان التلقيح بماء رجل أجنبي عن المرأة. ولا يربط بينهما عقد زواج. فإنه يزج بالإنسان دون شك في دائرتي الحيوان والنبات ويخرجه عن المستوي الإنساني. مستوي المجتمعات الفاضلة التي تنسج حياتها بالتعاقد الزوجي وإعلانه وهو في هذه الحالة بعد هذا وذاك يكون في نظر الشريعة الإسلامية ذات التنظيم الإنساني الكريم جريمة منكرة وإثم عظيم. وإذا كان التلقيح البشري بغير ماء الزوج علي هذا الوضع وتلك المنزلة كان دون شك أفظع جرماً وأشد نكراً من التبني إلخ».

وجاء في جريدة الدستور ما قرره مجلس مجمع الفقه الإسلامي بعمان..

جاء في الخبر أن هناك ست حالات منها أربع محرمة وممنوعة شرعاً لما يترتب عليها من إختلاط الأنساب. وشيوع الأمومة وغيرها من المحاذير الشرعية.

أما الحالتان الأخريان فقد رأي المجمع أنه لا حرج من اللجوء إليهما عند الحاجة مع ضرورة أخذ كل الإحتياطات اللازمة. أما الحالات الأربع المحرمة شرعاً والتي أشار إليها المجلس فهي:.

١- أن يجري التلقيح بين نطفة من زوج وبويضة مأخوذة من إمرأة أجنبية ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة أو العكس.

٢- أن يجري التلقيح خارجي بين لقيحة زوجين ثم تزرع في رحم إمرأة متطوعة بحملها.

٣- أن يجري تلقيح خارجي بين نطفة رجل أجنبي وبويضة إمرأة أجنبية وتزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

٤- أن يجري تلقيح خارجي بين نطفة وبويضة زوجين تزرع اللقيحة في رحم زوجة أخري. « أرحام مأجرة ».

- **أما الحالتان الشرعيتان:-**

١- أن تؤخذ نطفة الزوج وبويضة الزوجة ويتم التلقيح خارجياً ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

٢- أن تؤخذ نطفة الزوج وتحقن في رحم الزوجة نفسها ليكون تلقيحاً داخلياً.

وأيضا أوصي مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد في المملكة العربية السعودية مؤخراً بمقررات مشابهة.(١)

إن الله سبحانه وتعالي لا يحرم إمرأة من البنين إلا أن يعطيها ما هو أفضل إن كانت مؤمنة ملتزمة فلديه حكمة في ذلك.

وما من شك أن السعادة لا تكتمل إلا بوجود الأولاد. فكم يتحسر هذا البيت الخالي من الأولاد. لكن لو عرف هذا الإنسان المؤمن الملتزم أن الله منزه عن العبث والبخل لا يعتريه حزن أو خوف أو يأس. الله مصدر الخير والعطاء.

قال عزوجل:." **ما أصابك من حسنة فمن الله**"(٢).

فإن كان الحرمان خيراً فهو لحكمة يعلمها الله وإن كان غير ذلك فمن الإنسان.

قال تعالي: "**وما أصابك من سيئة فمن نفسك**".

فكم من رجال ينساقون وراء هوي أو إبتلوا بعلل زهرية أو سيلانية لتخبطهم في

(١) كتاب الإنسان أطوار خلقه وتصويره د/ تاج الدين محمود الجاعوني جـ٢ صـ١٥٣، ١٥٤.
(٢) سورة النساء آية/ ١٩.

بالوعات العهر والرذيلة.. يؤذون أنفسهم، يلوثون نطفهم بالصديد كما يؤذون أزواجهم بنقل جراثيم الفحش الملوثة لأرحامهن الطاهرة..

فتنسد كل السبل.. ويدعو الإنسان... وما دعاء هؤلاء بمسموع..(١)

قال تعالي:."**كذلك يطبع الله علي قلوب الذين لا يعلمون**"(٢).

٢- الطور الثالث:- طور الهندسة الوراثية:.

ويؤرخ له ببداية السبيعينات ولكن بدايته الحقيقية كانت في عام ١٩٥٣ حيث تم إكتشاف بعد من أعظم الإنجازات البيولوجية والطبية في القرن العشرين.

لذا نال عليه مكتشفي جائزة نوبل للطب والفسيولوجيا عام ١٩٦٢. والكشف هو الحمضي الريبي النووي منقوص الإكسجين(D N A) علي أيدي العالمين الأمريكين جيمس واطون وفرانسيس كريك. ثم كشف إنزيمات التحديد أو التغيير اللازمة لقص ذلك الحمض في مواقع محددة. وتدريجياً بدأ مصطلح هندسة وراثية يتداول لدي العامة.(٣)

- أراد العلماء الخير للبشرية وقد رأوا أن الأمراض الوراثية تنتقل من الأصول إلي الفروع. وقد يصاب الإنسان بمرض لم يكن في أبويه ولكن بالبحث والتقصي وجدوا أن جداً له أو جدة أصيب بنفس المرض.

أرادوا أن ينقوا السلالات من هذه الأمراض بتنقية« الجينات » ونجحوا إلي حد ما في تخفيف آلام البشرية إما عن طريق الأدوية وإما عن طريق الهندسة الوراثية. كما أرادوا أن يجنبوا البشرية الأمراض المستعصية التي سبق وأن أهلكت البشرية (كالطاعون، والجدري، والملاريا) وذلك بحصانة الإنسان منذ البداية ونجحوا في ذلك.

وليست الهندسة الوراثية تمرد علي خلق الله سبحانه وتعالي. والمرض عموماً من الإنسان هو الذي يتسبب فيه وذلك بالإهمال أو الخروج عن المألوف ولهذا قال سيدنا

(١) كتاب الإنسان أطوار خلقه وتصويره د/ تاج الدين محمود الجاعوني جـ٢ صـ١٥٥.
(٢) سورة الروم آية/ ٥٩.
(٣) الإستنساخ قنبلة العصر صـ١٨.

إبراهيم عليه السلام: "**الذي خلقني فهو يهدين. والذي يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين**"(١).

أي وإذا طرأ علي مرض. فهو تعالي الذي ينعم علي بالشفاء منه. ويلاحظ أن نسب المرض إلي نفسه ولم يقل أمرضني. فأضاف سيدنا إبراهيم المرض إليه. أي إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر علي شفائي أحد غير الله. بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه.

فالله لا يريد للإنسان ضراً وإنما يريد له الخير. وواضح أنه بتقدم العلم وتحسين وسائل الرعاية خرجت أجيال أفضل. فكانت الميكروبات والجراثيم والفيروسات تهاجم الإنسان ولا يملك لها دفعاً حتي يقع فريسة لها. ثم تقدم العلم فأمد الإنسان بحصانات وأدوية ومضادات حيوية وإهتمت البشرية بالطفولة فنهضت أجيال قوية. لكن جدت هناك أمراض خطيرة كانت نتاج إنحراف الإنسان ما أحد يسمع عنها« السكتة القلبية أو تصلب الشرايين. أو إنفجار المخ أو السكر ».

٤- الطور الرابع:- الإستنساخ:.

ويؤرخ له بعام ١٩٩٣ هو عام بدء التجريب علي البشر وإن كانت قد سبقته بالطبع كثير من التجارب في عالمي النبات والحيوان.

حيث صدم الإنسان في ذلك العام صدمة تمثلت في إستنساخ أجنة بشرية علي أيدي العالمين الأمريكين جيري هول وروبرت ستيلمان. إذ تمكنا في خطوة جريئة منهما من نسخ ١٧ جنيناً نسخا مجهرياً ليصبح عددهم ٤٨ جنينياً!!.

إلي أن جاء عام ١٩٩٧. ففي الأسبوع الأول من فبراير من ذلك العام فوجئ العالم بإنتاج البقري روزي التي يمكنها إفراز حليباً مماثلاً لحليب الأم البشرية بعد أن قام العلماء بهندستها وراثياً هي وثماني بقرات آخري لإنتاج البروتين الآدمي ألفالاكتالبومين.

وقد تكلفت عملية إنتاج(روزي) وحدها أربع مليون دولار أمريكي!!.

وقبل أن يفيق البشر من صدمة البقرة روزي فإذا هم بالنعجة دوللي يصدمون

(١) سورة الشعراء آية/ ٧٨. ٨٠.

فقد تم إنتاج تلك النعجة بأسلوب مثير وخطير وكان ذلك في فبراير عام ١٩٩٧.

وقبل أن يفيق البشر من صدمة النعاج فإذا هم بالقردة يصدمون.. حيث أعلن العلماء أمريكيون في أول مارس عام ١٩٩٧ عن نجاحهم في إستنساخ آثنين من القردة من خلايا جنينية!.

ونظرة مقدرة لتلك الأحداث فإن المرء لا يخطئ أثرها ولكن أخطرها علي الإطلاق قد يكون الإستنساخ لأنه يمس الإنسان بعمق ليس في بنيته وتركيبته فحسب وإنما كذلك في جوانبه الفكرية والنفسية والأخلاقية والإجتماعية وربما قبل كل هذا وبعده في عقيدته وذلك هو البلاء المبين(١).

بعد إستعراض أطوار ثورة البيوتكنولوجية وما تم فيها من تقدم وتطور هائل في الطب والتداوي وبها ما هو مفيد للإنسان وتخفيف الامه وإسعاده وكثيراً ما هو ضار بالإنسان وضياع القيم والأخلاق وإختلاط الأنساب وتفكك الأسرة مما يمكن أن يؤدي إلي الفساد في المجتمعات وإنتشار الأمراض والأوبئة وليس أدل علي ذلك من مرض(الإيدز).

ولكي يتضح الأمر الذي نحن بصدده نبدأ أولاً بالمقصود من الأستنساخ .

يقصد بالإستنساخ كما سبق ذكره:. هو الحصول علي نسخة أو أكثر طبق الأصل من الأصل نفسه. وبالمعني البيولوجي فالإستنساخ يعني معالجة خلية جسمية من كائن معين كي تنقسم وتتطور إلي نسخة مماثلة لنفس الكائن الحي الذي أخذت منه.(٢)

والإستنساخ نوعان:-

١- الإستنساخ الجسدي: أو اللاجنسي وهو يشبه لما حدث في حالة النعجة(دوللي) فأخذ خلية جسدية ناضجة تحتوي علي ٤٦ كروموسوم من جسم إنسان بالغ ونضع نواتها في بويضة أنثي بعد تفريغها من النواة التي تحتوي علي المادة الوراثية علي ٢٣ كروموسوم وبواسطة (طاقة كهربائية يحدث الإندماج ثم الإنقسام وتكوين الجنين الذي يتم زرعه في(رحم الأم).

(١) الإستنساخ قنبلة العصر صـ١٨، ١٩.
(٢) المرجع السابق صـ٢٤.

وهنا يحمل الجنين كل الصفات الوراثية للشخص الذي أخذ الخلية الجسدية منه.

فإذا أخذت الخلية من أنثي كان الجنين أنثي. وإذا أخذت من رجل يصبح ذكراً.

٢- الإستنساخ الجنسي: هو الذي يحدث من إلتقاء الحيوان المنوي للذكر ببويضة الأنثي وكل منها يحمل نصف عدد(الكروموسومات) كي يكتمل العدد في(النطفة المخصبة) ومن هنا يتكون. التوائم التطابقية) ويمكن بعملية الإنقسام أن ينشأ توائم أكثر.

طريقة إستنساخ النعجة (دوللي):

تلك النعجة التي أثارت ضجة علي مستوي العالم وآثارت إنتباه العامة والخاصة ثم إستنساخها بالطريقة الأولي: الإستنساخ الجسدي وفقاً للخطوات الأتية:.

١- الحصول علي خلية جسمية حية من ضرع (ثدي) الحيوان المراد إستنساخه (الأصل أو النعجة الأولي) وهذه الخلية تحتوي البرنامج أو البصمة الوراثية الكاملة اللازمة لعمل نسخة طبق الأصل من النعجة المراد إستنساخها.

٢- تنويم الخلية أي جعلها تدخل في حالة بيات أو سبات عميق (سكون تام) عن طريق تجويعها بخفض مغذياتها إلي١/ ٢٠ مما تحتاجه منها لتواصل إنقسامها.

٣- الحصول علي نواتها التي تحتوي علي البرنامج أو البصمة الوراثية الكاملة الخاصة بالنعجة الأولي.

٤- الحصول علي بييضة حية غير مخصبة من ذات الحيوان المراد أستنساخه أو من حيوان آخر من نفس نوعه (نعجة ثانية) بواسطة إبرة خاصة.

٥- تفريغ البويضة من نواتها بسحب ما بها من مواد جينية للتخلص من البرنامج أو البصمة الوراثية الكاملة للنعجة الثانية، ولا يتبقي من البويضة سوي مادة السيتوبلازم المغذية.

٦- تقريب نواة الخلية الثديية (المأخوذة من النعجة الأولي) من البويضة (المأخوذة من النعجة الثانية) ثم دمجهما معاً بإدخال نواة الخلية في البويضة لتعتبر وكأنها نواة جديدة لها تأمر بأمرها بدلاً من نواتها التي فرغناها منها في الخطوة السابقة.وذلك

بتعريضهما لذبذبات كهربائية دقيقة جداً تكون بمثابة تيار كهربائي ضعيف كاف لإحداث شرارة كتلك التي يحدثها الحيوان المنوي عند إندماجه مع البويضة في التزاوج الطبيعي(الجنسي) ليخصبها. وهنا تقوم جزيئات البويضة والسيتوبلازم المغذي) ببرمجة الجينات في نواة الخلية الثديية لإنتاج الخلية الأولي للجنين.

٧-الإستمرار في تسليط الذبذبات الكهربائية علي البويضة المخصبة (الخلية الجنينية الأولي) لتبدأ فيها عمليات كيمائية حيوية تخرجها من بياتها وتوقظها من سباتها وتحركها من سكونها لتبدأ إنقساماً متوالياً إلي خليتين ثم إلي أربع ثم ثمان ثم إلي ست عشرة ثم إلي إثنين وثلاثين خلية مكونة بذلك تجمعاً خلوياً (علقة).

٨- شتل العلقة بعد مرور ستة أيام- كحد أقصي من عملية الدمج وتكوين البويضة المخصبة - في رحم حيوان آخر حاضن أو حامل (نعجة ثالثة).

٩- بعد إتمام فترة الحمل ومراحله تلد النعجة الثالثة نسخة طبق الأصل من الحيوان المراد إستنساخه. النعجة الأولي)!!(١).

تلك كانت الخطوات التي بها تم إستنساخ النعجة الشهيرة(دوللي) عديدة ومعقدة وتحتاج إلي أموال هائلة وفريق عمل ليل نهار لا تغمض لهم عين ولا يهدأ لهم بال من المتابعة والتسجيل للنتائج.

وإذا حدث ولو خطأ بسيط أي كان المتسبب تؤدي إلي فشل التجربة وضياع المجهود والأموال بلا فائدة. وسبحان الله الخالق البارئ المصور حين يقول: **" هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه "**(٢).

وقال عز وجل: **" أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون "**(٣).

هل بالإمكان إستنساخ إنسان؟!

حتي الآن لم يعلن رسمياً من قبل الدوائر العلمية عن إمكانية التوصل إلي إستنساخ الإنسان. كما حدث مع النعجة(دوللي) وإنتاج القردين.

وذكر أنه يمكن بعد تقدم التقنيات المستخدمة أو إستخدام تقنيات أخري جديدة

(١) الإستنساخ قنبلة العصر ص٢٤، ٢٧.
(٣) سورة الطور آية/ ٣٥.
(٢) سورة لقمان آية/ ١١.

والقيام بالمزيد من التجارب والمحاولات. ومتي يحدث ذلك - العلم عند الله - وإن كانت قد نشرت إحدي المجلات العلمية- مجلة العلم- التي تصدرها أكاديمية البحث العلمي في مصر. في عدد إبريل ١٩٩٧. علي لسان بعض أساتذة النساء والتوليد في كلية الطب جامعة عين شمس. أن أحد علماء إيطاليا (آنتي نودي) قد أجري عملية إستنساخ بشري في سرية تامة وتكتم شديد في مختبره الخاص لسيدة إنجليزية وهي حالياً حامل في أول مستنسخ بشري![١].

إن الإسلام يدعو إلي بذل الجهد للوقاية من الأمراض الخطيرة ولكن لا يسمح للإنسان أن يلعب دور الإله في تغيير الخلق. فهذا عمل شيطاني والله سبحانه وتعالي قال في كتابه العزيز يحذر الإنسان من خطورة إتباع الشيطان:. "إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً. لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضا. ولأضلنهم ولأمنيهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً. يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً"[٢].

الإستنساخ ليس ضد إرادة الله ومشيئته:-

منذ خلق الله سيدنا آدم عليه السلام لم يخلق الله من أي إنسان إلا نسخة لا تتكرر. وإذا حدث وفقد الإنسان صفة التفرد في الخلق فقد معها صفة الإنسان الذي يختلف عن سائر الحيوانات. فلا معني ولا قيمة في وجود النسخ المتشابهة للحياة أو الموت أو الحب أو الرحمة. ولا معني للسعادة والبؤس. أو الفرح والحزن. لا معني للأبوة والبنوة. لا معني لإبداع. فإذا تم نسخ للإنسان كنسخ الأوراق فقدت الإنسانية معانيها وقيامها النبيلة إلي الأبد. وصعب علينا أن نتصور أننا نمشي في الشارع فنجد نسخا منا أو ندخل البيت نجد نسخاً أو شبيه لنا. حقاً صعب أن يتقبل الإنسان ذلك الأمر. وبالرغم من ذلك يجب أن يعلم الجميع أن الله سبحانه وتعالي خالق كل شئ. فهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما.

ولقد جاءت الآيات القرآنية الكثيرة مبينة أنه سبحانه وتعالي هو الذي خلق كل

(١) كتاب الإستنساخ قنبلة العصر ص٥٠.
(٢) سورة النساء آية/ ١١٧، ١٢٠.

شئ وأحسن خلقه، وأنه بديع السموات والأرض أبدعهما علي غير مثال سبق. أنه سبحانه وتعالي المنفرد بالخلق والتكوين والإنشاء.

قالتعالي: "**أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها آإله مع الله. بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً آإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض آإله مع الله قليلاً ما تذكرون. أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته آإله مع الله تعالي الله عما يشركون. أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض آإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. قل لا يعلم من في السماء والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون**"[١].

ونري من هذا النص الكريم أن الله سبحانه وتعالي هو وحده المنشئ للكون وما فيه وأنه المدبر له. وأنه وحده الذي يعلم غيبه وظاهره. وأنه سبحانه وتعالي هو الذي ينجي بعض خلقه من بعض ما خلق، وأنه سبحانه وتعالي هو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا. ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد بعده. سبحانه وتعالي. هو علي كل شئ قدير. ولا قادر في هذا الوجود قدرة علي الكون وما فيه سواه. تعالي الله علوا كبيراً. فالله الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق من غير مثال سبق ثم يميته. ثم يعيده إلي الحياة الأولي مرة أخري. كما قال تعالي: "**إنه هو يبدئ ويعيد**"[٢]. وقال عز وجل: "**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده. وهو أهون عليه**"[٣].

ولقد ذكر سبحانه وتعالي في القرآن الكريم أن الخالق غير المخلوق.

قالتعالي: "**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**"[٤].

فالوحدانية في الذات يقر بها المسلمون أجمعون فالله سبحانه وتعالي غير خلقه.

(١) سورة النحل آية/ ٦٠- ٦٥.
(٢) سورة الروم آية/ ٢٧.
(٣) سورة البروج آية/ ١٣.
(٤) سورة الشوري آية/ ١١.

وهذا أصل المعني يتفقون عليه من غير نكير لا ينكر أحد علي أحد أصل هذا المعني.

وأن نظام الكون وسيره علي هذا التكوين البديع البعيد عن الفساد لا يمكن أن يكون إلا عن واحد أحد فرد صمد. ولو تعدد المنشئ لكان الفساد أو إحتمال الفساد.

ولذا قال سبحانه و تعالي: **"لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون"**(١).

وإذا كان العالم يسير علي ذلك النظام المحكم الذي كان فيه كل شئ بقدر. فإنه لا يعتريه الفساد إلا بإرادة منشئه. ولا يمكن إلا أن يكون المنشئ واحدا. ذاته غير ذات خلقه ولا يشابهه أحد من خلقه لأن الفساد غير محتمل إلا بإرادة من كون وأنشأ. والله تعالي لا يريد الفساد. وأنه قد ترتب علي وحدة المنشئ وهو الله تعالي. وأنه الخالق له. ألا يكون أحد من خلقه له صلة به غير صلة المخلوق بالخالق في وجوده وحياته. قال تعالي: **"بديع السموات والأرض. أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة. وخلق كل شئ. وهو بكل شئ عليم. ذلكم ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو علي كل شئ وكيل. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. وهو اللطيف الخبير. قد جاءكم بصائر من ربكم. فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها. وما أنا عليكم بحفيظ"**(٢).

وأن الله سبحانه وتعالي خلق الأشياء وقدر لها كل ما يقع. وكل ما يكون. وما لا يكون فكل شئ بتقديره سبحانه فإنه هو المريد إرادة مطلقة ولا إرادة مطلقة لغيره في هذا الكون ولا يمكن أن يقع في ملكه ما لا يريد. فكل شئ بقضاء منه سبحانه وبتقديره. فالإنسان وما ملكت يداه وما يستطيع أن يفعل كل ذلك تحت سلطان الله تعالي. وفي تقديره. قال تعالي: **" ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير "**(٣).

أي ألا يعلم الخالق الذي خلق الإنسان وأوجده السر ومضمرات القلوب؟ فهو تعالي الذي خلق الإنسان بيده وأعلم شئ بالمصنوع صانعه.

---

(١) سورة الأنبياء آية/ ٢٢.
(٢) سورة الأنعام آيات/ ١٠١- ١٠٤.
(٣) سورة الملآية/ ١٤.

وقالتعالي: **" إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شئ علما"**(١).

فإذا إعتقد البعض أن عملية الإستنساخ تهديد أو مزاحمة للقدرة الإلهية وإرادة الله سبحانه وتعالي. وأن هناك نوعاً من الخلق في عملية الإستنساخ إذا إمتدت إلي البشر.

فبينا في ما سبق أن الله سبحانه وتعالي خالق كل شئ وأحسن خلقه وأنه هو المنفرد بالخلق والتكوين والإنشاء. وهو الذي يسير هذا التكوين البديع البعيد عن الفساد. والله تعالي لا يريد الفساد.

وتأكيداً لذلك أيضا نجد أن الله تعالي خالق كل شئ وأنه لا يشاركه في خلق الأشياء وتدبير الكون أحد من خلقه. وأنه لا ينازع إرادته المنشئة المكونة أحد. وأنه لا يقع في الكون ما لا يريد. فإنه سبحانه وتعالي فعال لما يريد. وأن الإنسان وقدرته وإستطاعته وإختياره كله مخلوق لله سبحانه وتعالي:

كما في قوله تعالي: **"والله خلقكم وما تعملون"**(٢).

- كما يجب أن يتأكد الجميع أن الخالق هو الله سبحانه وتعالي بدليل قوله تعالي: **"هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه. بل الظالمون في ضلال مبين"**(٣).

وقالعزوجل: **" أفرأيتم ما تمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون"**(٤).

فالإنسان سيظل متفرداً لا نسخة منه تشترك معه في الصفات والسلوكيات كما أنه لا يمكن أن يصدق تشابه شعرة إنسان مع شعرة آخر. أو البصمة ببصمة آخر وإذا حدث ذلك ولن يحدث حتي لا تختل الموازين.

ودليل آخر علي أن ذلك ليس ضد إرادة الله ومشيئته فالله هو المتفرد بصفات الجمال والكمال ولا تدخل لأحد في صنعه. كما أنه قادر علي أن يقضي علي البشرية

---

(١) سورة طه آية/ ٩٨.
(٢) سورة الصافات آية/ ٩٦.
(٣) سورة لقمان آية/ ١١.
(٤) سورة الواقعة آية/ ٥٨، ٥٩.

جميعاً.. ويستبدلها بخلق آخر بدليل قوله تعالي: "**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلي الله والله هو الغني الحميد. إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. وما ذلك علي الله بعزيز**"(١).

يستفاد من الآيات السابقة:- فقراء محتاجون إلي ربهم الخالق الرازق في بقائهم وكل أحوالهم. والله هو الغني عن عباده. المحمود علي جميع أفعاله وأقواله ونعمه الكثيرة التي لا تحصي. كما أن الله قادر علي إفناء الخلق والإتيان بخلق جديد آخر أطوع منهم وأزكي. وليس ذلك بممتنع ولا عسير متعذر علي الله تعالي.

- كما أن الخلق جميعاً سيظلون خاضعون لله بدليل أن الناس جميعاً يموتون ولا يمكن إنقاذهم من الموت أو إعادتهم. بدليل قوله تعالي: "**ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**"(٢).

أي لكل قرن وجيل. ولكل فرد وشئ في الوجود أيضا أجل معلوم وهو الوقت المحدد لإنقضاء المهلة. فإذا جاء ميقاتهم المقدر لهم لا يستأخرون ساعة وهي أقل مدة من الزمن ولا يتقدمون. لا بساعة ولا بأقل من ساعة.

وقال عز وجل: "**نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين علي ان نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون**"(٣).

أي أننا قهرناكم بالموت. ونقدر أيضا علي التجديد في الصفات والأحوال وما نحن بمغلوبين عاجزين عن خلق أمثالكم وإعادتكم بعد تفرق أوصالكم.

ولنقرأ قول الله تعالي: "**تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شئ قدير. الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**"(٤).

يستفاد من الايتين السابقتين تعاظم الله بالذات عن كل ما سواه. وهو مالك السموات والأرض في الدنيا والآخرة. والقادر علي كل شئ من إنعام وإنتقام. والله هو الذي أوجد الموت وأوجد الحياة.

(١) سورة فاطر آية/ ١٥:١٧.
(٢) سورة الأعراف آية/ ٣٤.
(٣) سورة الواقعة آية/ ٦٠، ٦١.
(٤) سورة الملك آية/ ٢،١.

- ويؤكد ذلك أيضا ويثبته أن مهما تقدمت البشرية ووقفوا علي حقائق وأسرار كانوا يجهلونها. ما زالوا يحبون في أول طريق العلم والمعرفة وما ذلك إلا نقطة من محيط علم الله الزاخر حيث يقول تعالي: "**ولو أنما في البحر من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم**"(١).

يدل ذلك علي أن معاني كلام الله لا نهاية لها. فعلم الله بحقائق الأشياء لا يمكن حصره وإنما هو واسع شامل. ونظير الاية: "**قل: لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**"(٢).

= ولو كان الإنسان يملك المقدرة الكاملة والإنفراد بمشيئته لماذا لم يقاوم (الفيضانات والطواعين، والزلازل والأعاصير). لماذا يقف عاجزاً أمام كل هذا. يقول عزوجل: "**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلي الله والله هو الغني الحميد**"(٣).

ودولة- كالولايات المتحدة الأمريكية- بكل ما لديها من إمكانات وتكنولوجيا متطورة يكتسح بعض ولايتها كل عام إعصار لا تستطيع مقاومته. يدمر ويخرب وما عليها إلا أن ترفع الأنقاض وتعيد بناء ما تهدم وتصلح ما أفسده الإعصار وما يدل علي ذلك ما جاء في صحيفة الأهرام. تحت عنوان أكبر فرار جماعي في أمريكا. « تسبب إعصار « فلوريدا » الشهير في أن تشهد الولايات المتحدة أكبر عملية فرار جماعي في تاريخها حتي الآن. حيث إرتفع عدد النازحين من المناطق المنكوبة التي ضربها الإعصار في ولايات ساوث كارولينا ونوريث كارولينا وفيرجنينا إلي أكثر من ٥،٣ مليون شخص وذلك علي مدي اليومين الماضيين. وقدأعلنت حالة الطوارئ من الساحل الشرقي لولاية فلوريدا حتي ولاية ماسوشوستس ». (٤)

- ولنا أن نتدبر قول الحق سبحانه وتعالي: "**الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي**

(١) سورة لقمان آية/ ٢٧.
(٢) سورة الكهف اية/ ١٠٩.
(٣) سورة فاطر آية/ ١٥.
(٤) من جريدة الأهرام اليومية- السنة ١٢٤- العدد ٤١١٩٢ الصادرة يوم الجمعة ٧ جمادي الآخر ١٤٢٠هـ

يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم"(١).

هذه الآية تملأ القلب مهابة من الله وعظمته وجلاله وكماله. فهي تدل علي أن الله تعالي متفرد بالألوهية والسلطان والقدرة. قائم علي تدبير الكائنات في كل لحظة لا يغفل عن شئ من أمور خلقه. وهو مالك كل شئ في السموات والأرض... يعلم كل شئ في الوجود. ويحيط علمه بكل الأمور وأوضاع الخلائق دقيقها وعظيمها. ويظل بالرغم من التدبير للخلائق والعلم المحيط بالأشياء هو العلي الشأن. فإن مشيئة الله وقدرته فوق التصور ولا يعجزه شئ في كونه أو خلقه.

(١) سورة البقرة آية/ ٢٥٥.

مزايا الإستنساخ وعيوبه

١- المزايا:

عملية الإستنساخ - إن صحت فعلاً- إذا أردنا أن نجد لها مزايا فما هي إلا تقدم علمي. يحاول العلم أن ينقر الإنسان من كل أمراضه. فهدفه تنقية(الجينات) من أمراض الوراثة- ذلك ما بدأت به(عملية الهندسة الوراثية) كإمتناع خلايا المخ والنخاع الشوكي عن الإنقسام وتوقف عضلات القلب عن النمو عند مرحلة معينة.

٢- عيوبه:

لكن نجد أن هذا الأمر له عيوب ومخاطر كثيرة. يمكن ذكر تلك العيوب والمخاطر في النقاط الاتية:.

(١) إختلاط الأنساب:

يتمثل في طور الإخصاب الإصطناعي مثل أطفال الأنابيب، البنوك المنوية وما يحدث فيهما من أخطاء متعمدة أو غير متعمدة. فمن الذي يضمن ألا تستخدم هذه الأجنة في البيع أو الإيجار. وقد تمكنوا بالإحتفاظ بأكثر من جنين في الثلاجة. في نتروجين سائل عند درجة ٨٠° تحت الصفر غير التي زرعها في رحم الأم الأصل لكي يبيعها لإمرأة أخري. وذلك هو(إختلاط الأنساب).

(٢) إلغاء مفهوم الأسرة:

وذلك بما حدث من إستنساخ النعجة(دوللي) من خلية جسدية« اللاجنسي» فإذا أخذت الخلية من أنثي كان الجنين أنثي. وإذا أخذت من رجل يصبح ذكراً.

ويمكن الإستغناء عن الرجال. فإذا كان الأمر كذلك. فالإنجاب يحدث بخلية من الأم تلتقي ببويضة من أخري.

(٣) وجود أجيال ضعيفة:

حيث أن تكرار عملية الإستنساخ تضعف الخلية. وبالتالي تصاب بالشيخوخة لنشأ أجيال ضعيفة تغلب عليها الشيخوخة قبل الصبا.

(٤) القضاء علي العلاقة بين الرجل والمرأة:

فالإستنساخ البشري-إن صح- يقضي علي علاقة المودة والأنس بين الرجل والمرأة ويجعل المرأة تستغني عن الرجل وتضيع القيم التي قامت عليها البشرية من زواج وتكوين أسرة تكون نواة في مجتمع فاضل.

(٥) توليد العداء بين الأصل والفرع:

بأن يكون الأصل قد شاخ والفرع مازال شاباً. كما تغار الأم من شبيهتها والبنت من نسختها.

(٦) إلغاء شخصية الإنسان:

بإيجاد دمي يتحكم فيها العلماء. وقد يؤدي ذلك إلي ظهور مخلوقات شاذة تهدم وتدمر وترتكب الجرائم وتشيع الفساد والفوضي بين الناس.

(٧) تكاثر أعداد البشر:

سيسبب ذلك زيادة أعداد السكان فيضيق بهم المكان وأسباب الرزق ويؤدي ذلك إلي إنتشار الجريمة والإمراض وتفش البطالة.

(٨) التشابه التام بين البشر:

سيفتح أبواب الشر والجريمة والإعتداء علي الأعراض والأموال ويكثر التحايل وتضليل العدالة لشدة التشابه بين البشر. فلا يستطيع القضاء أن ينال من المجرم.

وقد ينتج عن عملية إستنساخ البشر مآزق وقضايا فكرية ونفسية وإجتماعية وأخلاقية وقانونية وإنسانية. فذلك سيوجد قضايا شرعية كثيرة مثل. الوضع الشرعي للأبناء الذين أتوا من خلايا تناسلية بالتكاثر الجنسي بالنسبة لآبائهم الذين أتوا من خلايا جسدية بالتكاثر اللاجنسي؟

أمر آخر. ما مدي حرية الإنسان النسخة في الإختيار وإتخاذ القرار؟.

والله سبحانه وتعالي أعلم البشر وأنذرهم أنهم إذا ما إعتقدوا أنهم أصبحوا قادرين وسيطروا علي الأرض ونسوا الله. دمرها كأنها لم تكن.

قالتعالي: **"حتي إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنها لم تغن بالأمس"**(١).

خلاصة آراء العلماء في الإستنساخ-

ذكرنا عيوب ومخاطر الإستنساخ وبالأخص الإستنساخ البشري، وما سيسببه من مضار وفساد في المجتمعات قد يصعب السيطرة عليها أو التحكم فيها. لذا جاءت آراء العلماء- سواء كانوا من علماء الطبيعة أو علماء الدين وكذا بعض المسئولين برفض عملية إستنساخ البشر:.

- تقول عالمة في علم الخلية: إن حدث ونجح زملائي العلماء في إستنساخ الإنسان فإنه لن تكون هناك حاجة لوجود الرجل!.

- تقول عالمة أخري إختصاصية في تشريح الجهاز العصبي للإنسان وفسيولوجيته: أعترف أن هذا الأمر« تقصد إستنساخ البشر» يجعل معدتي تشعر بالعصبية. وهو حقاً مثير للغثيان.

- يقول أحد علماء جامعة أكسفورد: يجب أن نحجم عن تطبيق تقنية الإستنساخ علي الإنسان.

- يري عالم البيولوجيا المتميز (جورج ويليامز): أن التوقف عن التواصل الجنسي والتوجه إلي الإستنساخ يشبه تماماً تصوير ورقة يانصيب رابحة. فالورقة الرابحة لا تستطيع الفوز آلاف المرات بعدد النسخ التي نصورها منها. إلا إذا كان الرقم الرابح يتكرر آلاف المرات وهو ما لا يحدث.

- وقد طالب علماء الصين الحكومة بضرورة سن قوانين تحرم تطبيق تقنية الإستنساخ علي البشر ومراقبة ممارستها في كل من الحيوان والنبات.

- كذا علماء اليابان-علي رأسهم أكيرا أريتاني عالم الأجنة بجامعة أوزاكا- طالب بعدم ممارسة تقنية الإستنساخ لإنتاج نسخ آدمية.

---

(١) سورة يونس آية/ ٢٤.

- وطالب علماء مصر الحكومة بضرورة إستصدار التشريعات التي تكفل إحكام الرقابة علي مختلف البحوث البيوتكنولوجية التي يجريها علماء مصريون أو أجانب.(١).

رأي منتجو (دوللي):.

يقول العالم. إيان ويلموت): « صحيح أن تقنية الإستنساخ أصبحت الآن متاحة. لكنني أدعو بحسم إلي ضرورة السيطرة عليها. فبإعتقادي أن تطبيق هذه التنقية علي البشر عمل لا أخلاقي وغير إنساني. وإني أدعو رجال القانون في العالم لإعداد مشاريع قوانين تضبط إستخدام تلك التقنية وخصوصاً ما يتعلق منها بإستنساخ البشر وإن كنا نحبذه في مجال إستنساخ الحيوان لما له من فوائد طبية وغذائية كبيرة وبضوابط أيضا »(٢).

آراء علماء الدين:.

- صرح مفتي مصر بأن إستنساخ البشر كفر صراح لما يتضمنه من تغيير لخلق الله.

- وقد أصدر الفاتيكان بياناً ندد فيه بالإستنساخ قائلاً:« لقد أصبحت الحياة الإنسانية ألعوبة في يد العالم! ».

آراء بعض المسؤلين:.

- لخصت اللجنة التي كونها الرئيس الأمريكي من ١٨ خبيراً في العلوم والقانون والاهوت:. بأن يستصدر الكونجرس الأمريكي تشريعاً يسمح لبعض الباحثين بإستنساخ أجنة بشرية شريطة ألا تستخدم هذه الأجنة في إنتاج أطفال (أي لأغراض البحث العلمي فقط).

- طالب الرئيس الفرنسي- جاك شيراك- اللجنة الوطنية المختصة بالأخلاقيات الطبية سرعة تطوير اللوائح بما يجعلها تمنع تجارب الإستنساخ البشري وعدم الإنتظار لعام ١٩٩٩ وهو الموعد الذي كان مقرراً أن تجتمع فيه اللجنة من قبل.

(١) كتاب الإستنساخ قنبلة العصر صـ٧٣، ٧٤.
(٢) المرجع السابق صـ٧٦.

- دعا أعضاء البرلمان البريطاني إلي عقد إجتماع عاجل لبحث تشديد القوانين الموجودة أو إصدار قوانين جديدة لسد الثغرات التي يحاول العلماء النفاذ منها لمواصلة تجاربهم لإستنساخ البشر- كما قام مجلس العموم البريطاني بمساءلة فريق العلماء الإنجليز الذين إستنسخوا (دوروللي).

- كما بدأت حكومة البرتغال بإعداد مشروعات القوانين التي تحرم عمليات الإستنساخ البشري.

-قال وزير البحث العلمي والتكنولوجيا الألماني: سنحاول جهدنا ألا يكون هناك إستنساخ الإنسان في ألمانيا(١).

= كرم الله الإنسان والعلم:. لقد إهتم العلماء بهذا الموضوع، وكذلك رؤساء الدول. ورجال الدين الإسلامي والمسيحي، ومنعوا إجراء التجارب لما يعرفون من خطورته وعلي العلماء أن يدرسوا الظاهرة دراسة متأنية وألا يسارعوا بالشجب والإستنكار بدون دليل.

وواضح أن الإستنساخ البشري له مضار علي الجنس البشري أخلاقية وإقتصادية واجتماعية وسلوكية، والله قال عن الإنسان: "**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلا**"(٢).

والله أراد تكريم الإنسان وعدم المساس بصحته أو جسده حياأو ميتاً، وألا يتحول إلي حقل تجارب كالفئران والأرانب. »

والإنسان الشبيه قد يستخدم في الجرائم الخطيرة، وقد يطأ زوجته شبيهه علي أنه هو ويمكن للشبيه الهرب بعد إرتكاب الجريمة مما يعوق عمل رجال الأمن وإذا إنتشر الإستنساخ كيف تنتظم أحوال المواريث؟ وهل الابن الأصلي يكون مثل س الإنسان المستنسخ» ولا أملك إلا قول الرجل المؤمن إلي فرعون:. "**وأفوض أمري إلي الله إن الله بصير بالعباد**"(٣).

(١) الإستنساخ قنبلة العصر صـ٧٠، ٧٣، ٧٥.
(٢) سورة الإسراء آية/ ٧٠.
(٣) سورة غافر آية/ ٤٤.

أي أتوكل علي الله وأستعينه و أقاطعكم وأباعدكم" **إن الله بصير بالعباد**" أي هو بصير بهم تعالي وتقدس فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الإضلال ر الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ.(١).

وهذا كما قال مؤمن آل فرعون إلي فرعون عندما أرادوا قتله.

ولابد من وضع هذه المعامل تحت رقابة صارمة، وإصدار التشريعات والقوانين الرادعة، لأنه ربما استثمر الأجانب أموالهم في بلادنا في هذا المجال.

والذي يطمئن أنه لأول مرة اجتمع الرأي سواء من المسلمين أو غير المسلمين علي رفض «الإستنساخ» لخطورته وهو غير جائز من الناحية العلمية والطبية والأخلاقية والدينية والإجتماعية، والله امتدح العلماء وقرنهم في الشهادة بوحدانيته بقوله تعالي: **"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"**(٢).

وفضل العالم علي العابد، والإستخلاف في الأرض، وتحقيق الخلافة يكون بالعلم قالتعالي:"**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم**"(٣).

– والعلم يجب أن يقوم علي ثلاثة أمور: « الإيمان والأخلاق وخدمة البشرية».

فالعلم والإيمان وحدهما لا يكفيان إلا إذا أنتجا عملاً صالحاً يسعد البشرية.

والعلم يجب أن يحافظ علي خمسة هي مقومات الحياة:« الدين، والنفس والنسل، والعقل، والمال» والإختلال فيها فساد للبشرية، والله خلق البشرية من زوج سليم ومن ذكر وأنثي، وأدي ذلك إلي التكاثر. قال تعالي:"**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**"(٤).

إن الإسلام لا يرفض« نقل الأعضاء من الموتي أو الأحياء لخير البشرية ومواجهة

(١) تفسير بن كثير جـ٤ صـ٨١.
(٢) سورة آل عمران آية/ ١٨.
(٣) سورة الانعام آية/ ١٦٥.
(٤) سورة النساء آية/ ١.

الحالات الخطيرة علي ألا تتحول العملية إلي تجارة وإجرام وقتل الأبرياء لأخذ أعضاء أجسادهم، والرسول صلي الله عليه وسلم قال:« الإنسان بنيان الله، ملعون من هدم بنيان الله»(١).

فلا مانع من نقل« الكلي والكبد والأعين» ونحن لسنا في حاجة إلي الإستنساخ البشري والبشرية تعاني من الزيادة السكانية الرهيبة التي تلتهم مدخرات الدول، وننادي(بتنظيم الأسرة) والإكتفاء بطفلين أو ثلاثة، والإستنساخ سيزيد البشرية إلي مليارات إذا أخذنا من الواحد مائة.

ومما سبق نلاحظ إنه لا تعارض بين الدين والعلم السليم الذي لا يخرب في الأرض قال تعالي:"**والله يعلم المفسد من المصلح**"(٢).

والعلم يدعو إلي الأخذ بقوانين الله لخلق الإنسان وهو أعلم به"**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**"(٣).

والإستنساخ البشري ليس خلقاً

، فالخالق هو الله " **إقرأ بأسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق**"(٤).

وقالتعالي:"**فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب**"(٥).

لكن الإستنساخ عبث بالخلايا «وإفساد خلق الله».

والإستنساخ سيوجد بشراً من غير الطريق الطبيعي وهو الزواج» ويحدث فوضي في التناسل وضياع الأنساب، وإخلال بالعلاقات الزوجية، والإنسان الذي ليس له أب ولا أم ضائع (ولقيط) يعاني بل إن اليتيم يعاني من اليتم، وكيف نهمل الغرائز التي أودعها الله في الإنسان لصالحه« الغرائز الجنسية، غريزة الأبوة والأمومة، والحنان).

ومن كل ما تقدم نري أن القرآن الكريم يرفض الإستنساخ البشري لأن كل الآيات

(١)
(٢)سورة البقرة آية/
(٣) سورة الملك آية/
(٤) سورة العلق آية/ ٢،١.
(٥) سورة الطارق آية/ ٥:٧.

القرآنية أكدت أن الله هو الخالق بدليل قول الله تعالي:"**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**"(١).

وأن الإنسان جاء من زواج شرعي بين ذكر وأنثي:."**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"(٢).

وأن الإنسان خلق من نطفه "**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**"(٣).

ووضع الله في النطفة كل خصائص الإنسان بحيث لا يشابه إنسان آخر. قال تعالي:" **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا. إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا**"(٤).

والله جعل الرحم هو مستقر الإنسان في الخلق الأول ووضع الرحم في مكان حصين حتي لا يتعرض للهزات والأخطار وفي الرحم صوره:.

"**وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**"(٥).

ويمر الإنسان بسبعة أطوار كما قال الله تعالي علي لسان نوح "**خلقكم أطوارا**"(٦).

وفصلها في قوله تعالي:"**ولقد خلقناكم من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**"(٧).

ما أراد الله أن يكون الإنسان ضائعاً أو يخلقه عبثاً "**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون**"(٨).

(١)سورة لقمان آية/ ١١.
(٢)سورة الحجرات آية/ ١٣.
(٣) سورة المؤمنون آية/ ١٢، ١٣.
(٤) سورة الإنسان آية/ ٢، ٣.
(٥) سورة آل عمران آية/ ٦.
(٦)سورة نوح آية/١٤.
(٧)سورة المؤمنون آية/١٤:١.
(٨)سورةالمؤمنون آية/١١٥.

ولقد استمرت البشرية آلاف السنين علي هذا وقد يحدث خلل يكون من الإنسان لكن الله أحكم صنعته بدليل قوله تعالي"**صنع الله الذي أتقن كل شئ**"(١).

حكم الإستنساخ في ضوء القواعد الشرعية:-

بين وأوضح الدكتور/محمد رأفت عثمان في حكمه أربع صور:.

الصورة الأولي:- أن تكون النواة الموضوعة بدلاً من النواة المنزوعة من بويضة الأنثي هي نواة من خلية أنثي غيرها... ومن المعروف أن الشريعة الإسلامية لا تجيز الأعمال التي تؤدي إلي الإضرار بالنفس أو بالغير بدليل قوله تعالي:"**ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكه**"(٢).

سواء أكان الضرر عضوياً أم نفسياً فهو لا يجوز شرعاً.

كما قال... ومنع الضرر في الشريعة يؤدي إلي القول بعدم إباحة الإستنساخ البشري بين أنثي وأنثي وذلك لأن هذه الطريقة ستؤدي إلي ولادة بنت ليس لها أب فتنشأ نشأة الطفل الذي لا يعرف له والداً وهذا ضرر نفسي لها.

وهذا ما يجب أن نتجنبه وأن لا نجعل البشر مجالاً لحقول التجارب غير مأمونة الجوانب.

الصورة الثانية:- وهي الإنجاب عن طريق أخذ نواة من خلية إمرأة لتوضع في بويضة هذه المرأة ذاتها فحكمها الفقهي نفس حكم الصورة الأولي، وهو القول بعدم الإباحة.

الصورة الثالثة:- وهي أن يكون الإنجاب عن طريق أخذ نواة من خلية ذكر لتوضع في بويضة إمرأة بدلاً من النواة التي نزعت من هذه البويضة والحكم هنا إما أن تكون النواة المستجلبة مأخوذة من رجل أو من غير الإنسان من ذكور الحيوانات والرجل إما أن يكون زوجاً لهذه المرأة أو غير زوج لها.

والحكم في هذه الصورة عبث وتشويه لخلق الله عزوجل لأنه أخذ من ذكور

(١)سورة النمل آية/٨٨.
(٢) سورة البقرةآية/١٩٥.

الحيوانات وبذلك سيكون مخلوقاً آخر له صفات غير الصفات الإنسانية وإذا كان من غير زوج لها فلا شك أيضا في تحريم هذا العمل وهو في معني الزنا والزنا من المحرمات وهذا يؤدي إلي إختلاط الأنساب المحرم شرعاً فهذا مردود نحكم عليه بالتوقف ولا مجال للبحث فيه.

أما إذا كانت النواة التي يراد وضعها في بويضة المرأة هي نواة من خلية من خلايا زوج هذه المرأة الذي لازال حياً، فلا نعني بإباحة طريقة الإنجاب اللاجنسي بين الزوجين لأننا لا نعلم الحال التي سيكون عليها المولود.

وقد تكون هذه الطريقة مؤدية إلي وجود إنسان ليس سوياً في أية ناحية من النواحي المهمة في حياة الإنسان فنكون بذلك قد تسببنا في إيجاد إنسان لن يكون هو نفسه سعيداً في حياته ولن يسعد الآخرون بوجوده.. فلننظر ماذا ينتج عن بحوث علماء الغرب وتجاربهم فهم ماضون فيها، لن يثنيهم عن هدفهم في الإستنساخ البشري كوابح من دين أو أخلاق أو قانون فالذي يستمر منهم في إجراء أبحاثه يكون بعيداً في معمله عن عيون الناس دون أن يشعر به أحد منهم لكن ديننا الإسلامي يمنعنا من الأعمال غير مأمونة الجوانب لأن الإنسان ليس حقل تجارب مثل الفيئران والحيوان لأنه عزوجل كرمه عن بقية المخلوقات بشتي أنواع التكريم.

الصورة الرابعة:- وهي إكثار من أجنة تتشابه تشابها كاملاً كالتوأم السيامي وهو محكوم عليه بالتوقف لأننا ننادي بالتنظيم وبهذا الإستنساخ البشري ينتج لنا ملايين من البشر لا حصر لها. وبذلك يكون حكمه التوقف(١).

ومن كل ما تقدم... فالله سبحانه وتعالي أراد للإنسان أن ينشأ من أبوين وينمو في رحم أمه، ثم يولد فيجد العناية والرعاية وحسن إرضاعه وتربيته، حتي يشب أما «الإستنساخ» فكما يري «كتاكيت» لا عاطفة ولا مودة ورحمة.

---

(١) بحث للدكتور محمد رأفت عثمان صـــ

الخاتمة

الحقيقة أن قضية الإستنساخ البشري أحدثت دوياً أكثر من التجارب الذرية، نمازالت نتائجها مجهولة وصفات الحيوانات المستنسخة غير معروفة.

والإستنساخ ليس خلقاً فهو يعتمد علي خلية خلقها الله،والإنسان يعبث بها، وعملية الإستنساخ يمكن أن تخل بالتوازن بين الذكور والإناث وتهدد البيئة، ويمكن أن نستخدم في الصراعات الدولية، والحقيقة أن الإستنساخ لم يثبت أنه يؤدي منافع للبشرية، والعلماء عجزوا عن إستنساخ أعضاء بشرية، فالإستنساخ يعتمد علي أخذ خلية جسدية تحتوي علي الحمض النووي وإدخال الحمض داخل بويضة ثم تفريغها من النواة ووضعها في حضانات خاصة حتي يمكن الإنقسام ثم تزرع في داخل أي رحم...

وقد ثبت أن الحمض النووي يتكون من ٤ قواعد نتيروجينية وأي اقتراب منها ينشطها، والسلوك الإنساني له قواعد وراثية شفرتها داخل الحمض النووي، فالإجرام بتوارث، وعلي هذا من الممكن خلق جيل عدواني أو جيل مريض.

وأساتذة علم الوراثة يؤكدون أن عملية الإستنساخ تبدأ بمادة حية هي أساس الكون كله، فيتم أخذ«البتوبلازم » ليوضع في بويضة. فنحن نحتاج إلي خليتين، وهذه العملية كانت موجودة في« التلقيح الصناعي» وأطفال الأنابيب.

والجديد أن الخلية لا تؤخذ من الحيوان المنوي بل من أي جزء نشيط من الجسم فإذا أردنا ولداً نأخذ خلية رجل، وإذا أردنا أنثي نأخذ خلية إمرأة.

وهذا يؤدي إلي الخلل في التوازن بين الذكور والإناث ويتم الإستغناء عن فكرة الزواج لتنشأ حرب بين الجنسين، ونحن إلي الآن لا نعرف من مكونات الحمض النووي سوي ١٠٪، أما ٩٠٪ فليس معلوماً لنا فالنتائج غير مضمونة«والنعجة دوللي» لا تدري ماذا سيحدث لها، وإذا أكلها الإنسان ما سيحدث؟.

وعملية الإستنساخ سلاح أخطر من أي سلاح نووي، فإن الدول إذا أرادت محاربة أخري فقد تنتج نوعاً من الفاكهة إذا أكله الإنسان أضر به..

- وعملية الإستنساخ كما قلنا ليست عملية خلق، فالإستنساخ يعتمد علي خلية موجودة خلقها الله، فالخلق يكون من عدم.

ولم تنجح تجارب إيجاد أعضاء بشرية بطريقة الإستنساخ« كالكلي والكبد» لكل خلية من جسم حيوان تحتوي علي كل العوامل الوراثية.

وعملية الإستنساخ البشري محرمة علمياً ودينياً، فمن الناحية العلمية تتعارض مع القيم والأخلاق حيث يتم نسخ صور متكررة من البشر، وإستنساخ الأعضاء لابد له من إستنساخ إنسان كامل، ولا يصح أن يتحول الإنسان إلي تجارب.

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا.
٣- تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي. النور الإسلامية.
٤- الكشاف للزمخشري-دار المعرفة بيروت-لبنان.
٥- تفسير الفتوحات الإلهية تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل- دار المنار.
٦- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي- مكتبة دار التراث.
٧- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي- دار إحياء التراث العربي.
٨- تفسير روح المعاني للألوسي.
٩- تفسير المراغي.
١٠- زاد المسير في علم التفسير-لابن الجوزي.
١١- جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام الطبري.
١٢- تفسير البحر المحيط.
١٣- تفسير ظلال القرآن- لسيد قطب.
١٤- صحيح البخاري-طبعة الشعب.
١٥- سنن الترمذي.
١٦- الحاكم في المستدرك.
١٧- موطأ الإمام مالك.
١٨- صحيح مسلم.

١٩- الدر المنثور للسيوطي.
٢٠- اللؤلؤ والمرجان فيما رتفق عليه الشيخان.
٢١- مسند الإمام أحمد.
٢٢- البداية والنهاية لابن كثير.
٢٣- مفردات الراغب للأصفهاني.
٢٤- بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي.
٢٥- لسان العرب لإبن منظور.
٢٦- الذريعة إلي مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني.
٢٧- الإنسان عند الغزالي تأليف د. علي عيسي عثمان.
٢٨- معارج القدس في مدارج الأنفس للغزالي.
٢٩- كتاب الإستنساخ قنبلة العصر للدكتور صبري الدمرداش.
٣٠- الإستنساخ في ضوء القواعد الشرعية الدكتور/ محمد رأفت عثمان.
٣١- الإنسان ذلك المجهول. ترجمة شفيق أسعد مؤسسة المعارف بيروت.
٣٢- الإستنساخ بين عطاء العلم والمنهج الشرعي للدكتور محمد السيد.
٣٣- معالم تاريخ الإنسان للدكتور ويلز.
٣٤- الإنسان في القرآن للعقاد.
٣٥- أطوار الخلق في تاريخ الإنسان بين القرآن والعلم للدكتور أحمد شوقي.
٣٦- الفلسفة القرآنية للعقاد.
٣٧- كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للأصفهاني .
٣٨- كتاب إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان للدكتور/ محمد فياض.
٣٩- كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور/ محمد علي البار.

٤٠-كتاب القرآن والتوراة والإنجيل والعلم للدكتور موريس بوكاي.
٤١- لقط المنافع في الطب لإبن الجوزي.
٤٢- كتاب مصدر الجهاز العظمي والعضلي في علم وظائف الأعضاء.
٤٣- جسم الإنسان: آلان نورس مكتبة الترجمة العربية مطابع الأهرام.
٤٤-كتاب حقيقة الأبحاث الروحية الحديثة في خلق الإنسان لمحمد محمد حسين.
٤٥- مجلة الفصيل الطبية- العدد الثامن- مقال للدكتور مور.